أوراق

ملحق يعنى بآخر الاصدارات الحديثة في العالم يصدر عن مؤسسة

رئيس مجلس الادارة
رئيس التحرير
فخري كريم

العدد (1808) السنة السابعة - الاحد (30) أيار 2010

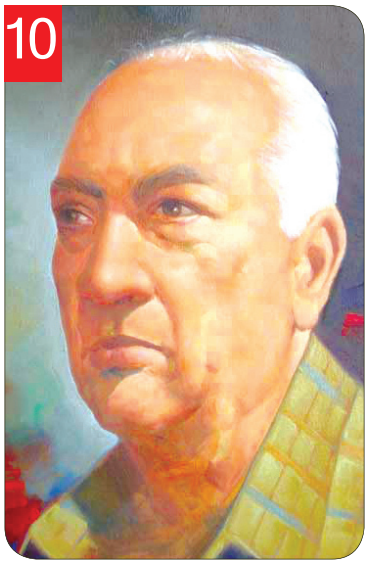

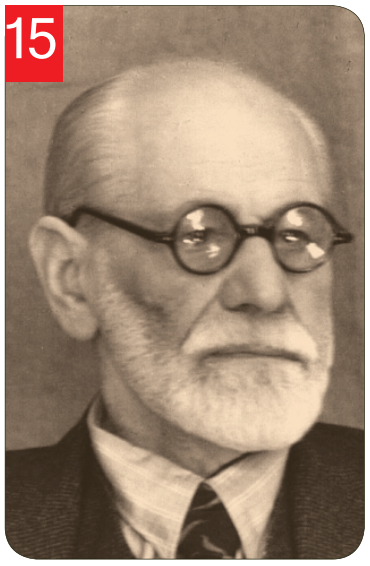

تاريخ الحب

الدفاتر السرّية لأغاثا كريستي..

الطبخ الذي جعلَنا بشراً!

من هو هاري بوتر؟

سـر الكاتبـة التـي حصـدت الملايين!

أوراق
العدد (1808)السنة السابعة -الاحد (30)
أيار 2010

طارق علي و "الخماسية الإسلامية"

ترجمة/ ابتسام عبد الله

في العصور الفوتوغرافية وفي الأفلام الإخبارية القصيرة لستينيات القرن الماضي، يمكننا تمييز طارق علي بدون شك: شعر اسود غزير وشاربان خشنا القبضة المضمونة، صورة تبدو في الطليعة وسط بحر في الوجوه.

بدأ طارق علي بعد تخرجه في جامعة أكسفورد مباشرة بتهييج مشاعر العمال والدعوة إلى التمرد والثورة – ليس في بريطانيا فقط بل عبر العالم. وكتابه،"١٩٦٨"، والذي تلاه." في داخل الثورة – ١٩٧٨ ، أكد أهمية الطبقة العاملة كأساس للتغير الاجتماعي". كان بطله شي غيفارا، وعند مقابلة لمالكوم إكس في اجتماع عقد في أكسفورد، عام ١٩٦٤ ، سرّ كثيراً لاكتشافه إن مالكوم كان من المعجبين بشدة بكوبا وفيتنام.ولكن علي لم يحقق ثروته، ولكنه جعل فرقة الرولينغ ستون الغنائية الشهيرة تقدم نشيداً تكريماً له. ويقال إن ميغ جاغر قد كتب" رجل شارع محارب" من أجله. وأعاد طارق علي المجاملة بإطلاق عنوان،" أعوام من كفاح الشارع"، على سيرته الذاتية. كان لطارق حضور طاغ وما يزال. وهو اليوم وقد بلغ الـ٦٦ من عمره، يعيش بمنزل فسيح، في لهاي غيث، شمال لندن، يطلق عليه أصدقاؤه، " القصر الريفي لطارق"، وتشاركه الحياة سوزان واتكينز. إنها تحرر"، ريفو اليسار الجديد، الذي كان علي مساهماً فيه أعواماً. لدي الاثنين طفلان.

في عام ١٩٧٤، رشح طارق علي نفسه للانتخابات كمرشح ماركسي عالمي، ولكن صانع الشعارات الشخصية الشهيرة لم يفز فيها. انه لم يتخل عن معارضته للسياسة الاقتصادية اللبرالية – الجديدة، أو بمعنى آخر الرأسمالية، ولكنه استسلم للحقيقة التي تقول إن تفسخ النظام لم يحصل."انها مشكلة يتوجب على الناس القبول بها في مراحل معينة من التاريخ. فكيف يمضي وقته في مرحلة كتابة الرواية. والفصل الثاني من تسلسل أحداث حياته، بدأ مع انهيار جدار برلين عام ١٩٨٩ .

ويقول:" لقد بدأت أغيّر خياراتي في أوائل الثمانينات بتأسيس شركة،"بالذونغ للأفلام"، ولكن كتابة الرواية التي تتطلب أشهرا من العزلة، كان أمراً جديداً. كانت الرواية الأولى لطارق،" تحرير"، رواية تصور أشخاصا حقيقيين بأسلوب مقنع، صدرت عام ١٩٩٠ . في العام التالي انهمك بكتابة رواية من نوع مختلف، تناولت عالماً خيالياً وهو العالم التاريخي للإسلام، وهي بعنوان " تحت ظلال شجرة الرمان". وهي تتحدث عن الصراع المسيحي – الإسلامي في أواخر القرن الخامس عشر ، في خلال مرحلة محاكم التفتيش في إسبانيا، وكان كما قرر أن يكون الأول من خمسة أجزاء يطلق عليه،" الخماسية الإسلامية". وقد انتهى من كتابتها مع نشر الأخيرة منها ، خلال هذا الشهر،" ليلة الفراشة الذهبية".

ويتحدث علي،" كل شيء سار بالمصادفة كما بدأنا. وهو يعني تعاونه مع دار نشر انيبندنت الراديكلية التي يعمل فيها مديراً للتحرير. ويضيف قائلاً،" كتبت رواية الرمان ووجدت طرقها بشكل جيد ، ثم قال لي إدوارد سعيد (عليك رواية كل ذلك التاريخ الدامي إنك لا تقدر على التوقف في منتصف الطريق".

ورويات الخماسية الإسلامية، غير متسلسلة تاريخياً، أو بتعيين التواريخ الدقيقة للأحداث وترتيبها وفق تسلسلها الزمني. فالجزء الثاني منها،" كتاب صلاح الدين"، يعود إلى ثلاثة قرون مضت، أما الجزء الثالث فهو بعنوان،" المرأة الحجرية، فهي تدور في استنطبول القرن التاسع عشر. أما الجزء الرابع فهو،" سلطان في باليرو"، عن صقلية في القرن الثاني عشر. و في روايات طارق علي لا نجد خيطاً طويلاً ينسج العلاقات عبر القرون. أما الموضوع الرئيسي المشترك فيها فهو الصراع بين الشرق والغرب. وآثاره.

وان عدنا إلى الجزء الأخير من الخماسية التي صدرت مؤخراً وهي،" ليلة الفراشة الذهبية"، نجدها تتناول المرحلة الزمنية الحاضرة، مع شخوص تنتقل من باريس إلى لندن ومن ألمانيا إلى الصين.

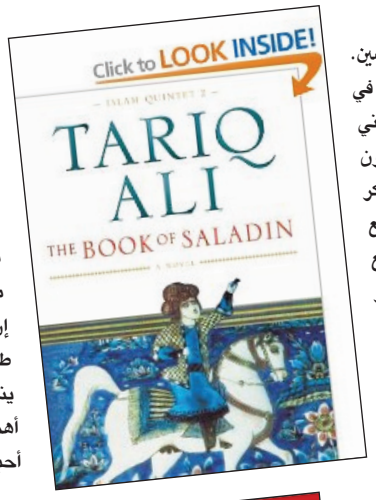

الشخص الرئيسي في الرواية، رسام باكستاني يدعى بليتو (أفلاطون بالعربية)، مؤسس الفكر الغربي. وفي بيلتو، يضع طارق علي أفكاره، تتجمع الشخصيات من لاهور لرؤية آخر لوحة رسمها بليتو. وهي لوحة ثلاثية في أوسطها أوباما،" أول رئيس اسود يقود المجتمع الكبير" النجوم والخطوط الحمر وهي في حالة سرطانية متفسخة موشومة على ظهره. " إن رئيس المجموعة يحمل/ زراً كهربائياً يردد(نعم بإمكاننا تدمير الدول) ورواية" ليلة الفراشة الذهبية" هي عودة أيضاً إلى طفولة طارق علي وشبابه. ولاهور التي ولد فيها عام ١٩٤٣ ،كانت آنذاك جزءاً من الهند البريطانية (نالت باكستان استقلالها بعد أربعة أعوام.) كان والداه شيوعيان وهو يصفهما. " أنضم والدي إلى الحزب الشيوعي في الأعوام الأخيرة للإحتلال البريطاني، قد ساهما في النضال ضد الاحتلال".

ومن ذكرياته الأولى.انه وشقيقته كان حتى سن السابعة يتحدثان البنجابية، ولكن الدراسة والتعليم لهما تمت بالانكليزية وقد انكب على القراءة الأدب الكلاسيكي الانكليزي(وكما يقول كل شيء فيه – ثم انصرفت إلى الروسية.)

ويقول طارق علي،"كافة الكتّاب الواقعيين الاشتراكيين من الاتحاد السوفيتي كانوا في منزلنا، . ولكني كرهت كل ذلك، اذ كان والدي شيوعياً متشدداً بشكل ما".

أما الكتاب المفضلين بالنسبة إليه فهم: هاري ويلزاث الأفضل من الجميع ستندال لأسلوبه المتدفق. وقد انخرط في العمل السياسي في أيام مراهقته، ضد الدكتاتورية العسكرية الباكستانية الأولى، التي تشكلت عام ١٩٥٨. وخوفاً عليه من الأخطار، تم إرساله إلى كلية إكسر في أكسفورد، حيث درس القانون ما بين ١٩٦٣ –١٩٦٦ ." كنت سعيداً جداً ولدي عدد من الأصدقاء، وبدأت الاشتراك في نادي العمال".

أما عن كتابة الرواية، فهو كما يعتقد أمر بدأ ينمو لديه منذ أواخر الأربعينيات من عمره." كنت ابحث ذات يوم في أوراق أمي بالاهور، قبل فترة قصيرة، ووجدت رسالة مني إليها في ١٩٦٦، أقول فيها إني سأكتب رواية يومياً."

وطارق علي ما يزال مواطناً عالمياً. ففي رحلة أخيرة إلى اليمن حيث كتب مقاله عن مخاطر القاعدة فيها. ثم زار بعدئذ غرناطة لتسلم جائزة غرانادييللو لكتابه "الخماسية الإسلامية" . و يتذكر انه لما قرأ شيئاً من روايته في برلين، قام رفيق قديم من مكانه وقال مخاطباً الحضور."هل يعرفون من يكون هذا الرجل؟" . وهو عند مقارنة الأدب الانكليزي الحديث مع الأمريكي، يفضل الأخير.

وإضافة إلى روايته الأخيرة، نشر علي مجموعة من المقالات ،"بروتكولات آباء سادوم" وهي تتضمن مدرجاً لانطوني باول، بروست وسلمان رشدي ويقول إن كتاباته بدأت تخط"، معيباً عليه تسلم شارة الفارس من بلير.

إن الفكرة الرئيسة في روايات طارق علي هي المنفى. أناس ينقطعون ، بأشكال مختلفة عما هو أهم شيء بالنسبة إليهم – أيمانهم، أحبائهم وكتبهم وارض أجدادهم. والجامعة التي جاء إليها عام ١٩٦٣ – أكسفورد، لم تكن تختلف كثيراً عن موطنه وكما يقول،" لقد أحسست منذ وصولي انكلترا أنها مألوفة بالنسبة لي . لقد نشأنا في بلد محتل، وما تزال هناك في بلدي ما يدل على ذلك حتى بعد الاستقلال. ولكنه مع ذلك يعترف انه أمضى الـ٢٠ عاماً الماضية في الكتابة عن الانفصال. " انه أمر صحيح، ذلك لأن كافة الأصدقاء تركوا هناك في الخلف وهذه الرواية الأخيرة تتحدث عن ذلك، هناك انفصال ما بين الأحبة. ومن الأمور الأخرى السياسية والطعام– عندما جئت إلى أكسفورد وجدت الطعام شيئاً جيداً وغريباً. الطعام في بلدنا أفضل حتى بين الفقراء."

ومن أبرز سمات، " الخماسية الإسلامية" ، هو التفاصيل الأزياء، القانون، التقاليد، أسماء الاماكن، وأيضاً في السيطرة على الأحداث التاريخية." في العام الأول لكتابة الرواية، قرأت كل ما تقع عليه عيناي، ثم قمت بزيارة كافة الأماكن التي أكتب عنها: صقلية وغرناطة واستنطبول– من اجل اكتشافها". و لكنه ما أن بدأ في الكتابة، تواصل معها دون توقف، وحتى إعادة قراءتها.

ويقول:" أنا رجل سيء في تلك الأمور. اكتب بتدفق ولا أقدر على إعادة ما كتبت، إلاّ بعد مرور وقت طويل. أنا أومن تماماً بمهمة المحرر الذي يقرأ ويعيد الكتابة. لقد أرسلوا لي ٥ أوراق من الملاحظات، وعند ذلك أعدت قراءتها، وعملت ما أرادوه.

وعندما سئل فيما إن كانت تجربة كتابة الرواية قد أثرت في صرامة موقوفة تجاه العلاقات ما بين الفن والسياسة، ويبدأ آنذاك في التحدث عن تحركاته الجانبية نحو الأفلام وقناة ٤ ، التي مارس الكتابة لها زمناً.

"وهل ساورتك الشكوك في يوم ما"؟

–"لكي أكون صريحاً مع نفسي.. كانت لدينا الشكوك، حتى في الوقت الحالي. لم امتلك أوهاماً حول الستالينية او ذلك الأسلوب للمجتمع. كنا نأمل أن يحل بدله أمر آخر، أفضل، يخلو من الارتداد التام. ولكن ذلك الأمر لم يتحقق."

و كتاب طارق علي الأول (غير الروائي) يحمل بصمة الثقة التامة بالنفس، والإيمان بالإيديولوجية التي كان يناضل من اجلها.

وطارق علي شارك في الانتخابات الأخيرة في بريطانيا، ولكنه لم يمنح صوته لأحد، لمجرد أن لا يكون سلبياً".

عن/ الغارديان

جاك اتالي اقتصادي معروف ورئيس سابق لبنك التنمية الأوروبي، وعمل مستشارا سياسيا لدى الرئيس الفرنسي الأسبق فرانسوا ميتران وكان صديقه الحميم. لكنه أيضا مفكر وروائي وكاتب مسرحي.قدّم حوالي 50 كتابا في الدراسة والرواية والمسرح واليوميات وكتابة السيرة. من أعماله الأخيرة «تاريخ مختصر للمستقبل» ـ قدمه «بيّان الكتب» في أحد أعداده السابقة ـ و«قاموس للقرن الحادي والعشرين» و«اليهود والعالم والمال» و«الإيمان والعقل» و«سيرة حيّاة ماركس» و«سيرة حياة غاندي أو يقظة المضطهدين»، الخ.

تاريخ الحب

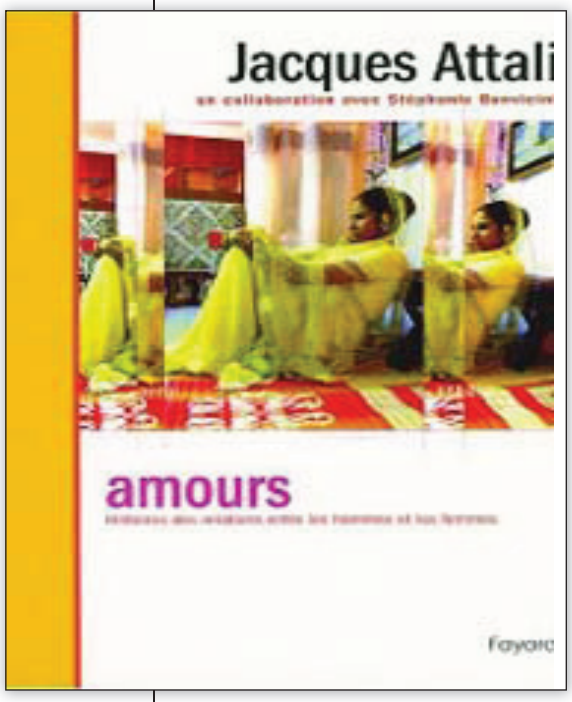

بعد هذه السلسلة الطويلة والمتنوعة من الأعمال يقدم جاك اتالي لقرائه هذا الكتاب الجديد «الحب في التاريخ الإنساني» عن تاريخ العلاقات بين الرجال والنساء، عبر ثمانية فصول اعتبارا من «بدايات الحب» وحتى «احتضار الزواج».

يبدأ هذا الكتاب وينتهي بجملة كتبتها ذات يوم «هيلويز» ل«ابيلار»، قيس وليلى الغرب. وجاء فيها «بكلمة واحدة لا تبحثوا في الحب سوى عن الحب».

إن تاريخ الحب يغطي فترة زمنية تزيد على أربعة مليارات من السنوات. وجاك اتالي يحاول في هذا العمل تقديم بعض المحطات الرئيسية «المنعطفات» في هذه المسيرة التاريخية الطويلة.

في الفصل المكرّس ل«بدايات أشكال الحب» اختار المؤلف في تصديره مقطعا من «نشيد الإنشاد» جاء فيه: «الحب قوي مثل الموت (...). لا تستطيع المياه الغزيرة أن تطفئ لهيب جذوته، ولا الأنهار أن تغمره».

ثم يشير إلى انعدام المؤشرات التي تدل اليوم على ما كانت عليه علاقات الحب منذ ملايين السنوات. ولكنه يميل إلى الاعتقاد أن هذه العلاقات قد «تطورت» بالتوازي مع «تطور حجم الدماغ». ويعود المؤلف إلى ما قبل ٣٠٠ ٠٠٠ سنة بدايات إقامة البشر لفترات طويلة في كهوف ليقدم بعد ذلك الأشكال الجنينية من التنظيم الاجتماعي.

ومنذ البداية أخذ الرجل مكانة أكبر في هذا التنظيم وأيضا في العلاقة مع الطبيعة. ومع الانتقال إلى الحياة «الحضرية» أصبح هناك للعلاقات بين الرجل والمرأة نوعا من الطقوس، كما ظهرت بعض «الممنوعات».

وفي مثل هذا السياق «الحضري» الجديد ظهرت أيضا فكرة الزواج وذلك على قاعدة القول أن «امرأة وحيدة» لا تتمتع بالحماية و«رجل وحيد» هو «خطير على النظام. الاجتماعي. من حيث أنه قد يطمع بنساء الآخرين». هكذا «قامت الحضارات كلها في إطار ظروفها الجغرافية والمناخية الخاصة، بتنظيم العزوبية أو منعها».

ويشير المؤلف إلى أن حضارة «الأنكا» مثلا قد منعت العزوبية، كما لا تزال بعض المجموعات في برمانيا تعتبر أنه «لا يبقى عازبا سوى القاصر عقليا أو الشرسين جدا، والعازبون يكادون لا يستحقون حتى دفنهم عند موتهم».

ويرى المؤلف أنه من «شبه المؤكد القول أن التنظيم الاجتماعي قد بدأ على أساس «جماعية العلاقة» بين الرجال والنساء. وينقل عن المؤرخ اليوناني هيرودوت قوله منذ القرن الخامس قبل الميلاد عن بعض شعوب أوروبا الوسطى وآسيا ما يلي: «النساء مشتركات بين الجميع، وليس هناك زواج. لكن عندما تضع امرأة طفلا يتم جمع الرجال بعد شهرين من ولادته، وذلك الرجل الذي يشبه الطفل يصبح أباه».

وعبر مسيرة التطور في التنظيم الاجتماعي بدت «الفوضى في العلاقات» بين الرجال والنساء مصدر تهديد للمنظومات القائمة. هكذا أصبح التنظيم «الملزم» ضروريا، وبنفس الوقت جرى ما يسميه جاك اتالي الانتقال الحاسم من «الحالة الطبيعية» إلى «الحالة الثقافية». للإشارة كان مؤسس البنيوية كلود ليفي ستروس قد تحدث من جهته عن الانتقال من «النيئ» إلى «المطبوخ» للتدليل على الانتقال من الطبيعة إلى الثقافة.

ويكرس المؤلف أحد فصول الكتاب لدراسة ظاهرة «زواج» العديد من الرجال بامرأة واحدة لدى بعض الشعوب قبل حوالي عشرة آلاف سنة. وكانت هذه الظاهرة نفسها قد عرفت بعض التطور إذ بدأت ب«اقتسام عدة إخوة لامرأة واحدة» ثم «اقتسام عدة رجال ليس بينهم رابطة قرابة لامرأة واحدة».

كما عرفت بعض الشعوب البدائية صيغة مختلفة لهذه الظاهرة تمثّلت في «اختيار» المرأة نفسها لعدة رجال. وكانت السمة المشتركة بين المجتمعات المعنية هي «تفوق» مكانة المرأة على مكانة الرجل الذي أصبح رجلا أو أبا أو أخا أو مستخدما أو مرتزقا، أو هذه الصفات كلها بالنسبة للمرأة. ويشير المؤلف إلى أن أحد أسباب مثل هذه الظاهرة كان ذا طبيعة اقتصادية أحيانا إذ عندما كانت الحقول لا تعطي سوى القليل كان من الصعب «اقتسام» خيراتها وتجزئتها.

وفصل آخر عنوانه «تعدد الزوجات» ويبدأه المؤلف بالقول: «منذ ٨٠٠٠ سنة، في الصين والشرق الأوسط حيث لم تكن الأراضي والنساء نادرة أخذت معالم التملّك تتحدد والثروات تتركز والسلام يعم خلال فترات طويلة.

بنفس الوقت أصبح أمل حياة الفرد يزيد على ٣٠ سنة، عندها بدأ الجنس البشري يتمتع بقليل من الوقت الحر، وقت الفراغ، كي يعيش علاقة حب أو ربما عدة علاقات وأيضا كي ينقل معارفه ل«الأجيال التالية». كذلك ادرك الرجل عبر وعيه المتزايد بموقعه الجديد في المنظومة الاجتماعية أن «امتلاك» عدد كبير من الأطفال يشكل أداة لزيادة إنتاجية الأسرة

هكذا إذن كان تعدد الزوجات ذا خلفية اقتصادية «أحيانا». وكانت مختلف الحضارات، خاصة في آسيا، قد عرفت ظاهرة تعدد الزوجات وترافقت الظاهرة أحيانا بممارسة بعض الطقوس. ويؤكد جاك اتالي في هذا السياق أن الإسلام كان أول عقيدة دينية تحدد «نصّا» تعدد الزوجات بأربعة، وذلك لأسباب تتعلق ب«العدالة».

لكنه يشير إلى أنه ما بين القرن الثامن والقرن العاشر مارس السادة وكبار شخصيات الممالك الإسلامية التي فتحت آنذاك قسما كبيرا من الشرق الأوسط، تعددية النساء في حياتهم، وكانوا بذلك مثلهم مثل جميع الأقوياء في العالم الذين امتلكوا مثل ذلك «الامتياز».

وفي السياق نفسه يشير جاك اتالي إلى أن الصليبيين كان عندهم «حريم» في الأرض المقدسة، هذا على الرغم من المبادئ التي كان يُفترض أنهم قد قدموا إلى الشرق للدفاع عنها. بل في أوروبا نفسها، ورغم التعاليم المسيحية، استمرت ممارسة «تعدد النساء» في الواقع لدى قطاعات عديدة في المجتمع حتى القرن الثامن عشر. وقد مارس ملوك فرنسا ذلك حتى لويس الخامس عشر.

وتحت عنوان: «اختراع الزواج من امرأة واحدة» يؤكد المؤلف أن مثل هذا «الزواج» لا يعبر عن قصة حب وإنما عن «رابطة بين أسرتين» من أجل حماية ملكيتهما أو جمعهما معا. هكذا كان من الشائع في كل مكان أن لا ترى المرأة الرجل الذي سوف تتزوجه إلا يوم «عقد القران» الذي تفرضه العائلتان. وكانت المسيحية قدمت إلى «الحد الأدنى الضروري للإنجاب».

وإذا كان الزواج من امرأة واحدة أصبح قاعدة سائدة في الغرب اعتبارا من القرن الحادي عشر، فإن النخب الإقطاعية استمرّت بممارسة الزواج فيما بين أبنائها حصرا من أجل المحافظة على إقطاعياتها بل توسيعها إذا أمكن. وبقي الأهل هم الذين يقررون «الزيجات» التي كانت تتم في المنازل بحضور ممثل عن الكنيسة.

وكل من كان يتمرّد على رغبة الأهل يتم حرمانه من الإرث. لقد استمرت مثل تلك الممارسات حتى القرن الخامس عشر. وما بين القرن الخامس عشر والثامن عشر عرفت أوروبا ما يسميه المؤلف «تمجيد الحب»، كما اختار عنوان الفصل ما قبل الأخير من كتابه.

هذا في الوقت الذي كانت فيه آسيا وأميركا وإفريقيا لا تزال تمارس «تعددية الزوجات» في أغلب الأحوال. كذلك شهد الغرب الأوروبي بدايات «التحرر الجنسي»، الأمر الذي حاربته الكنيسة بكل ما أوتيت من قوّة. وخلال الفترة نفسها اشتهرت قصص مثل «روميو وجولييت» و«تريستان وايزوت» و«هولويز وابيلار»... وكلها تمجّد الحب «حتى الموت».

الفصل الأخير من الكتاب يحمل عنوان: «احتضار الزواج». وهذا ما عبّرت عنه بشكل بليغ جملة الروائي الفرنسي الشهير «اندريه جيد » في عمله المعروف «الغذاء الأرضي» وجاء فيها «أيتها العائلة، إني أكرهك». وهي الجملة التي صدّر فيها المؤلف هذا الفصل. كذلك ينقل عن الكاتب «دانييل ريشس» قوله في رواية «العصفور النادر» المنشورة عام ١٩٠٢ أن «ميثاق وفاء الرجل هو مخالف للطبيعة الرجالية التي تنزع أساسا نحو تعدد النساء». الوجه الآخر لمثل هذه الأقوال هو بوضوح «احتضار الزواج».

الكتاب:الحب في التاريخ الإنساني
تأليف :جاك اتالي
الناشر:فايار ـ باريس

العدد (1808)السنة السابعة -الاحد (30)
أيار 2010

ابدت الكتب قوة هائلة من اجل الخير ومن اجل الشر طوال التاريخ المسجل للجنس البشري .. في هذه الصفحات سنقدم مناقشة لعشرة كتب كان لها تاثير في التاريخ والاقتصاد والثقافة والعلوم من عصر النهضة الى يومنا هذا انها كتب بالغة القوة نقدمها في ملحق (اوراق) والكتب من اختيار الدكتور روبرت داونز الرئيس السابق للمكتبة الوطنية الامريكية يبين بوضوح ذلك النفوذ الواسع للكتاب، كتاب داونز صدر في الخمسينيات من القرن الماضي اراد فيه المؤلف ان يقدم عرضا مثيرا للكتب من عدة عصور تبين القوة الهائلة للكلمة المطبوعة واثرها في التقدم البشري.

10 كتب هـزت العالم

النظريات الرياضية.. اسحق نيوتن

كان كتاب النظريات الرياضية للفلسفة الطبيعية للسير اسحق نيوتن اشهر جميع الكتب ذات التأثير العميق في امور االبشر كما انه ما من كتاب من تلك قرأه اشخاص اقل ممن قرأوا ذلك الكتاب.

فقد كتبه مؤلفه في تؤدة باللغة اللاتينية الفنية البالغة الغموض والموضحة بالكثير من الاشكال الهندسية المعقدة. وبذا اقتصرت قراءته على علماء الفلك والرياضيات والطبيعة الواسعي الاطلاع.

وقال واحد من اشهر كتاب حياة نيوتن ، انه عندما نشر كتاب مبادئ الرياضيات في الربع الاخير من القرن السابع عشر، لم يكن هناك على قيد الحياة من استطاع فهمه، اكثر من ثلاثة او اربعة رجال ، وزاد كاتب اخر هذا العدد الى عشرة او اثني عشر.

وقد اعترف نيوتن نفسه بأنه "كتاب صعب" ولكنه لم يبد اي اعذار لكونه صممه على ذلك النحو ولم يجعل به اية تسهيلات للاميين رياضياً.

وبرغم هذا، يقرر مشاهير رجال العلوم ان نيوتن من اعظم الشخصيات الفكرية في العصر كله.

فوصف لايلاس العالم الفلكي الفرنسي الالمعي، كتاب النظريات الرياضية بأنه "المتفوق على جميع ما انتجته العبقرية البشرية" واكد لاجرانج عالم الرياضيات الذائع الصيت، ان نيوتن اعظم نابغة عاش على وجه الارض. وصف بوليزمان رائد العلوم الطبيعية والرياضية الحديثة.

ذلك الكتاب بانه اول واعظم كتاب الف في العلوم الطبيعية الرياضية في العالم كله.

وابدى العالم الفلكي الاميركي الشهير كامبل ملاحظة قائلاً: "الجلي لي ان السير اسحق نيوتن الجدير بحق بان يكون اعظم رجل في العلوم الطبيعية الرياضية في جميع عصور التاريخ، يتمتع بمكانة فريدة بأنه الرائد العظيم في العلوم الطبيعية الفلكية".

وكذلك كتبت تعليقات رواد علوم الطبيعة في القرنين ونصف القرن الماضية، بمثل ذلك الثناء والاجلال والتمييز، ويجب على العلمانيين ان يتقبلوا حكم هؤلاء على هذه الحقائق المبنية على النتائج.

ولد نيوتن في يوم عيد الميلاد لعام ١٦٤٢ راى في اوليات سني حياته سقوط حكومة الكومنولث لرئيسها اوليفر كروموويل ، والحريق العظيم الذي دمر لندن عن اخرها، والطاعون المستشري الذي قضى على ثلث سكان تلك المدينة. وبعد ١٨ عاما قضاها نيوتن في قرية وولثورب الصغيرة، ارسل الى جامعة كامبيردج حيث ساعده الحظ بان وضعه تحت ارشاد مدرس عبقري كفء هو اسحاق بارو استاذ الرياضيات الذي اطلق عليه اسم (الاب العقلي) لنيوتن، لمس بارو النبوغ في نيوتن الشاب، فشجع ذلك النبوغ النامي وحفزه، وبينما كان نيوتن ما زال طالبا في الكلية اكتشف نظرية ذات الحدين.

اقفلت جامعة كامبردج ابوابها عام ١٩٦٥ بسبب الطاعون، فعاد نيوتن الى الريف. ظل معظم السنتين التاليتين معزولا عن العالم، فكرس نفسه للتجارب العلمية والتفكير، فكانت النتائج مدهشة ، فقبل ان يبلغ الخامسة والعشرين من عمره قام بثلاثة اكتشافات اعلت قدره ووضعته في مصاف العقول العلمية الفذة لجميع العصور، فاولا اخترع حساب التفاضل الذي اطلق عليه نيوتن اسم fluxions لانه يدخل في جميع مسائل الزيادة وحركة الاجسام والتموجات، وضروري لحل المسائل الطبيعية. ويتناول كل نوع من الحركة، "يبدو انه يفتح الابواب الجانبية لمخزن الكنوز الرياضية، ويضع عالم الرياضيات تحت اقدام نيوتن واتباعه.

اما الاكتشاف العظيم الثاني لنيوتن فهو قانون تركيب الضوء، الذي بموجبه اخذ يحلل الالوان والنور الابيض، فبرهن على ان ضوء الشمس الابيض يتألف من جميع الوان قوس قزح، اذا فاللون خاصية للضوء، وظهور الضوء الابيض، كما اواضح بالتجربة بواسطة منشور –ينتج عن اختلاط الوان الطيف.

وبالمعارف التي اكتسبها نيوتن من هذا الاكتشاف، استطاع ن يصنع اول تلسكوب عاكس ذي نتائج باهرة.

اما الفكرة الثالثة فجديرة بالملاحظة العظمى، وهي قانون الجاذبية العام الذي يقال انه اثار خيال العلماء اكثر مما اثاره اي اكتشاف نظري اخر في العصور الحديثة. فتبعا لقصة موثوق بها ، جاءت هذه الفكرة لنيوتن عندما لاحظ سقوط تفاحة ، فساقته الى صياغة هذا القانون ، لم يكن هناك جديد على فكرة جذب الارض للاجسام القريبة من سطحها. ولكن ما اسهم به نيوتن في الذخيرة العلمية هو تخيله العظيم الذي جعل قانون الجاذبية هذا من قوة جذب الارض. وبعد ذلك قدم البرهان الرياضي لنظريته.

الغريب ان نيوتن لم ينشر شيئا عن هذه الاكتشافات الثلاثة البالغة الاهمية: التفاصيل والالوان والجاذبية، واذا كان ذا طبيعة مولعة بكتمان اسراره والاحتفاظ بمعلوماته في طيات صدره، فأنه كان يمقت ملاحظات الجمهور ومجادلاتهم ، وعلى ذلك كان يميل الى حجز نتائج تجاربه. وكل ما نشره فيما بعد كان تحت ضغط اصدقائه ، ثم ندم بعد ذلك على خضوعه لهم واستجابته لتوسلاتهم، فقد نجم عن ذلك النشر ان قام زملاؤه العلماء بنقد مؤلفاته والمجادلة فيها. وهذا ما كان يشمئز منه نيوتن بسبب طبيعته الحساسة.

بعد الاعتزال الاجباري والفراغ بسبب سنوات انتشار الطاعون، عاد نيوتن الى كامبيردج ، ونال درجة استاذ وعين زميلا في كلية ترنيني، وبعد ذلك بفترة قصيرة تقاعد استاذه السابق بارو، فصار نيوتن وهو في السابعة والعشرين من عمره استاذا للرياضيات، وهذا مركز احتفظ به نيوتن لمدة السبع والعشرين سنة التالية، لم يسمع نيوتن في العشر او العشرين سنة الاولى سوى القليل، والمعروف انه استمر في ابحاثه عن الضوءن ونشر صحيفة عن اكتشافه عن الطبيعة المركبة للضوء الابيض. وبعد هذا مباشرة وقع في المجادلات. فاولا كانت نظرياته عن الضوء تعارض النظريات السائدة وقتذاك، وثانيا لانه ضمن صحيفته حقيقة عن فلسفته للعلوم الطبيعية، فأكد في هذه الصحيفة وجهة نظره بان الوظيفة الرئيسية للعلوم الطبيعية هي القيام بالتجارب المصممة بعناية، وتسجيل الملاحظات على هذه التجارب ثم صياغة القوانين الرياضية المبنية على النتائج.

وكما نيوتن: "الطريقة المثلى لمعرفة خواص الاشياء، هي استنتاجها من التجارب". وبرغم اتفاق هذه النظرية تماما مع الابحاث العلمية الحديثة، فلم تكن مقبولة تماما بحال ما في عصر نيوتن، اذ كانوا يفضلون المعتقدات المبنية على الخيال والعقل ومظهر الاشياء، وهي الموروثة عادة عن قدامى الفلاسفة، يفضلونها على البراهين وليدة التجارب.

غضب نيوتن لهجوم مشاهير العلماء على صحيفته، ولاسيما هوبجينز وهول ، فقرر ان يتحاشى مثل هذا الغيظ مستقبلا، بألا ينشر شيئا بعد ذلك، قائلا: "لقد اضطهدت من جراء تلك المناقشات التي نجمت عن نشر نظريتي عن الضوءن حتى انني لمته حكمتي في إعلان مثل هذه النعمة العظيمة كما لو كنت اجري وراء ظل" كما عبر عن عدم التذوق الحاد للعلوم نفسها مؤكدا انه فقد "ولعه" السابق بها. وبعد مدة توسل اليه وتملق والح عليه في "كتابة مؤلفه العظيم" النظريات الرياضية، والحقيقة هي انه يبدو ان خلق هذا الكتاب جاء وليد المصادفة.

في عام ١٦٨٤ قام بيكار بحسابات دقيقة لمعرفة طول محيط الكرة الارضية بالضبط لاول مرة. فاستخدم نيوتن المعلومات التي توصل اليها ذلك الفلكي الفرنسي مع نظرية الجاذبية ، للبرهنة على ان القوة التي تسير القمر حول الارض، والكواكب حول الشمس، هي قوة الجاذبية، تتناسب هذه القوة تناسبا طرديا مع كتلة الاجسام المتجاورة ، وتناسبا عكسيا مع مربع المسافة بينها. وذهب نيوتن بعد ذلك ليبرهن على ان هذا هو ما يجعل افلاك الكواكب اهليلجية الشكل. فقوة شد هذه الجاذبية هي التي تحافظ على دوران القمر والكواكب في افلاكها موازنة القوة الطاردة المركزية لحركاتها.

وللمرة الثانية اخفق نيوتن في البرهنة على اكتشافه لظاهرة اعظم اسرار الطبيعة، وتصادف ان شغل علماء اخرون في البحث عن حل لنفس هذه القضية، اقترح كثير من علماء الفلك ان الكواكب ترتبط بالشمس بقوة الجاذبية، كان من بين هؤلاء روبرت هوك اعظم نقاد نيوتن المتعصبين المعاندين، بيد انه لم يستطع اي واحد من هؤلاء ان يقدم برهانا رياضيا، في تلك الاثناء كان نيوتن قد حظى بشهرة بالغة كعالم في الرياضيات، وزاره في كامبريدج العالم الفلكي ادمندهالي يطلب مساعدته، وعندما بسط هالي قضيته ، علم ان نيوتن حلها قبل ذلك بسنتين، وزيادة على هذا وقع نيوتن القوانين الاساسية لحركة الاجسام المتحركة تحت قوة الجاذبية.. وبطبيعة الحال، لم يكن نيوتن يعتزم نشر اكتشافاته.

ادرك هالي من فوره اهمية اكتشافات نيوتن، فاستخدم كل ما لديه من قوة الحث لاقناع نيوتن بوجوب نشر اكتشافه والافادة منه.. تأثر نيوتن بحماس هالي، وبشغفه هو نفسه الذي اشعل

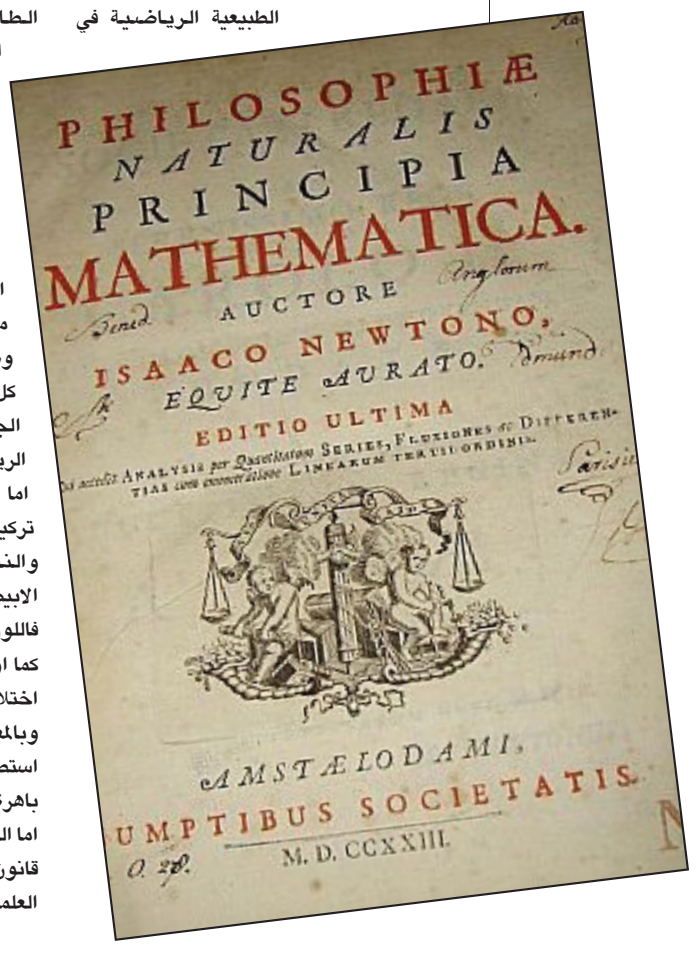

ادرك هالي من فوره اهمية اكتشافات نيوتن، فاستخدم كل ما لديه من قوة الحث لاقناع نيوتن بوجوب نشر اكتشافه والافادة منه.. تأثر نيوتن بحماس هالي، وبشغفه هو نفسه الذي اشعل من جديد فبدأ يكتب اروع مؤلفاته "النظريات الرياضية" التي لاتقل اهمية عن غيرها، هي انه استغرق في تأليفه ثمانية عشر شهرا، شغل نيوتن ابانها لدرجة انه كثير ما كان ينسى طعامه ولاينال غير قدر يسير من النوم

من جديد فبدأ يكتب اروع مؤلفاته "النظريات الرياضية" التي لاتقل اهمية عن غيرها، هي انه استغرق في تأليفه ثمانية عشر شهرا، شغل نيوتن ابانها لدرجة انه كثير ما كان ينسى طعامه ولاينال غير قدر يسير من النوم..لا يستطيع اخراج مثل هذا العمل الذهني الضخم في مدة وجيزة كهذه الا التركيز المسمتر والبالغ الشدة.

والحق ان ذلك العمل انهك نيوتن ذهنيا وبدنيا.

وزيادة على ذلك، لم ينعم نيوتن براحة البال ابان تأليفه لذلك الكتاب، وانما ازعجته ايما ازعاج تلك المجادلات الدائمة ولاسيما من جانب هوك الذي ألح في ان يكون له شرف اكتشاف نظرية التربيع العكسي للجاذبية في حركة الكواكب.

وكان نيوتن عندئذ قد اتم ثلثي كتابه، فاغضبه ذلك الادعاء غير العادل لدرجة انه هدد بحذف الجزء الثالث الاعظم الاهمية.

وهنا تدخل هالي مستخدما نفوذه وظل يلح على نيوتن في ان يكمل كتابه حسبما خطط له اولا.

بعد ان تخطى ذلك الكتاب جميع العقبات ، خرج من المطبعة في عام ١٦٨٧ في حجم صغير بيع بعشرة شلنات او اثني عشر شلنا للنسخة الواحدة . وظهر في الصفحة المخصصة لعنو ان الكتاب، واسم مؤلفه ، ظهر اسم صموئيل ببيز رئيس الجمعية الملكية على انه صاحب الترخيص لطبع ذلك الكتاب، برغم انه من المشكوك فيه، كما ذكر احد النقاد:"ما اذا كان يفهم جملة واحدة منه".

من الصعب عمل اي ملخص لذلك الكتاب بلغة غير فنية، ان لم يكن مستحيلا، ولكن يمكن عمل بعض التوضيحات، يتناول المؤلف في جملته، حركة الاجسام من الناحية الرياضية، وخصوصا من حيث الديناميكا والجاذبية العامة للمجموعة الشمسية. فيبدأ بشرح حسابات التفاضل الذي اخترعه نيوتن واستخدمه في جميع العمليات الحسابية بذلك الكتاب. وبعد ذلك تعريف معنى الفضاء والزمن وبيان قوانين الحركة كما صاغها نيوتن مع الاشكال الموضحة لاستعمالها. فتقول النظرية الاساسية ان كل ذرة من المادة تجذبها كل ذرة اخرى من المادة بقوة تتناسب تناسب عكسيا مع مربع المسافة بينها وبين كل ذرة، كذلك بين القانون الذي تخضع له الاجسام المتصادفة بعضها مع بعض ، وقد شرح وعبر عن كل شيء بصور هندسية كلاسيكية.

يتناول الجزء الاول من كتاب النظريات الرياضية حركة الاجسام في الفضاء الطلق، بينما يتناول الجزء الثاني الحركة في "وسط مقاوم" كالماء، وقد وضع نيوتن في اعتباره مسائل حركة الاسوائل وطرق حلها، وناقش طرقا لتقدير سرعة الصوت وحركة الامواج بالشرح الرياضي، وهنا وضع اساس علم الطبيعيات الرياضية الحديث والايدروستاتيكا والايدروديناميكا.

قوض نيوتن في الجزء الثاني ذلك النظام الكوني، الذي وضعه ديكارت، والذي كان شائعا وقتذاك تقويضا تاما.فتبعا لنظرية ديكارت ،تتحرك الاجسام السماوية بناء على حركة دوامية. فالفضاء كله، تبعا لتلك النظرية ملئ بمادة مائعة خفيفة تحدث دوامات في نقط معينة. فمثلا تتألف المجموعة الشمسية من اربع عشرة دوامة اكبرها تضم الشمس. اما الكواكب فتدور كما تدور قطع الاوراق في دوامة الاعاصير الحلزونية.

فسر ديكارت ظاهرة الجاذبية بهذه الدوامات فلما جاء نيوتن، اخذ يبرهن بالتجارب والعمليات الرياضية، وبذا اثبت ان "نظرية الدوامات تتعارض تماما مع الحقائق الفلكية. ولذا فهي بعيدة كل البعد عن تفسير حركة الاجرام السماوية وتقلبها رأسا على عقب".

اما في الجزء الثالث، وعنوانه "نظام الكون" فقد بذل نيوتن قصارى ما في ذهنه اذ تناول النتائج الفلكية لقانون الجاذبية، فكتب يقول عن نفسه:

"وضعت في الجزءين السابقين نظريات الفلسفة (العلوم)، تلك النظريات الرياضية وليست الفلسفية.. هذه النظريات هي قوانين وشروط حركات معينة أو قدرات او قوات.. شرحتها هنا وهناك...بـ.. تبعا لامور ذات طبيعة عامة... مثل كثافة الاجسام ومقاومتها والفضاء الخالي من جميع الاجسام، وحركة الضوء والصوت، يتبقى من نفس تلك النظريات ان اشرح هيكل نظام الكون".

استهل نيوتن كلامه في هذا الجزء بذكر حقيقة اساسية تختلف عن النظريات الماضية تماما، وهي انه ليس هناك فرق بين الظواهر الارضية والظواهر السماوية، مؤكدا ان الاثار المتشابهة في الطبيعة تنتج عن اسباب متشابهة، فمثلا التنفس في الانسان وفي الحيوان، وسقوط الاحجار في اوروبا وفي أميركا، وضوء نار المطبخ، وضوء الشمس، وانعكاس الضوء على الارض وعلى الكواكب، وهكذا دحض الاعتقاد القديم القائل بان العوالم الاخرى كاملة والارض وحدها غير الكاملة، ولكن نيوتن اثبت ان الجميع يخضع لنفس القوانين المعقولة، كما قال ماك موراي:"يسبب النظام والعمل الرتيب حيث سادت الفوضى والغموض في العهد الماضي".

هذا، وان مجرد عمل قائمة بالموضوعات التي تناولها الجزء الثالث لمدهش حقا.. فقد اثبت بما لايترك مجالا للشك، حركات الكواكب وحركات توابعها حولها وأوضح طرق قياس كتل الشمس الكواكب وحركات توابعها حولها واوضح طرق كياس كتل الشمس والكواكب، وناقش وفسر مواضيع كثافة الارض واستقبال الاعتدالين الربيعي والخريفي ونظرية المد والجزر، وافلاك المذنبات وحركة القمر وكل الامور المتعلقة بهذه المواضيع.

اثبت نيوتن بواسطة نظريته عن "الاضطرابات" ان الارض والشمس يجذبان القمر، وهكذا يضطرب ذلك القمر بجذب الشمس برغم ان جذب الارض له اقوى من جذب الشمس. وكذلك الكواكب عرضة للا ضطرابات ، وليست الشمس هي المركز الثابت للكون، على عكس المعتقدات السابقة بل تجذبها الكواكب كما تجذب هي الكواكب فتتحرك بالطريقة نفسها. وفي القرون اللاحقة ادت نظرية الاضطرابات الى اكتشاف كوكبي نبتون وبلوتو.

اوجد نيوتن مقادير كتل الكواكب كتلة الشمس بمقارنتها بكتلة الارض، قدر كثافة الارض بما يتراوح بين خمس وست مرات كثافة الماء (الكثافة التي يستعملها علماء الطبيعة اليوم هي ٥,٥). وعلى هذا الاساس حسب نيوتن كتل الشمس والكواكب وتوابعها. وهذا عمل وصفه آدم سميث بأنه "فوق مدى العقل والعمل البشريين".

تأتي بعد ذلك الحقيقة القائلة بان الارض ليست كرة منتظمة التكور، بل مسطحة عند القطبين بسبب الدوران فشرحها نيوتن وحسب مقدار التسطح، استنتج نيوتن بناء على تسطيح الارض عند القطبين وانبعاجها عند خط الاستواء، ان الجاذبية لابد ان تكون القطبين اقل منها عند حط الاستواء –وهذه الظاهرة تفسر "الاستقبال" في اعتدالين والحركة المخروطية لمحور الارض على غرار الخذروف.

وبدراسة شكل الكواكب امكن تقدير طول الليل والنهار على ذلك الكوكب.

استخدم نيوتن قانون الجاذبية الكونية في بحثه عن اسباب المد والجزر.فعندما يكون القمر بدرا يقع على مياه الارض اقصى جذب، فينتج المد. كذلك تؤثر الشمس في المد والجزر. فعندما تكون الشمس والقمر على خط واحد، يبلغ المد ذروته.

استقبل معاصرو نيوتن كتابه "النظريات الرياضية" في انكلترا واسكتلندا بترحاب اكثر من استقبال الناس له في القارة الاوروبية، ولكنه استقبل ببطء في كل مكان. وكما تنبأ نيوتن، احتاج فهمه الى مقدرة رياضية عظيمة ، ومع فأن طريقة عرضه الخارقة جعلت الناس، حتى من كانت لديهم فكرة بسيطة عن مؤلفه يقبلون عليه. وشيئا فشيئا قبل العلماء، في كل مكان نظريات نيوتن، وفي القرن الثامن عشر سلموا بها في عالم العلوم.

يبدو ان نيوتن فقد كل متعة فعالة في الابحاث العلمية بعد ان كتب "النظريات الرياضية" برغم انه عاش مدة اربعين عاما، بعد نشره تسلم خلالها عدة تكريمات مشرفة، فعين مديرا لدار السكة، ومنحته الملكة آن لقب فارس، وانتخب رئيسا للجمعية الملكية منذ عام ١٧٠٣ حتى وفاته في عام ١٧٢٧ ، ورأى نشر الطبعتين الثانية والثالثة من كتابه. وعلى العموم قدر اسمى تقدير ونال اعظم اجلال.

لابد للثناء والتقريظ اللذين نالهما نيوتن على لسان اينشتاين ان يمحو اي قدح من الفلاسفة منافسيه "اذ كانت الطبيعة امامه كتابا مفتوحا استطاع قراءة حروفه دون عناء. لقد ضم في شخص واحد:العالم القائم بالتجارب، وصائغ النظريات والميكانيكي والمتفنن في التعبير".

قدر نيوتن حياته وهو في اخر ايامه تقديرا يتسم بالتواضع، فقال:" لست ادري ماذا ابدو امام العالم، ولكني ابدو امام نفسي كغلام على شاطئ البحر، يتسلى من آن الى اخر بالعثور على حصاة اكثر ملاسة أو صدفة اجمل من العادية بينما يقع محيط الحقيقة الخضم كله امامي من دون ان يكتشف".

يتناول الجزء الاول من كتاب النظريات الرياضية حركة الاجسام في الفضاء الطلق، بينما يتناول الجزء الثاني الحركة في "وسط مقاوم" كالماء، وقد وضع نيوتن في اعتباره مسائل حركة الاسوائل وطرق حلها، وناقش طرقا لتقدير سرعة الصوت وحركة الامواج بالشرح الرياضي، وهنا وضع اساس علم الطبيعيات الرياضية الحديث والايدروستاتيكا والايدروديناميكا.

خزانة المدى

باسم عبد الحميد حمودي

منطق الشفاء
للشيخ الرئيس ـ ابن سينا

ابن سينا مؤلف كتاب (منطق الشفاء) هوابو علي الحسين بن عبد الله بن سينا ، طبيب وعالم وفيلسوف وموسوعي ، لقّبه تلامذته بالشيخ الرئيس لعلمه الوافر وعلو كعبه غي علومه .

ولد في بلخ سنة٣٧٠ للهجرة وتوفى سنة ٤٣٨ ، أخذ الفقه على يد أسماعيل الزاهد\ والفلسفة والمنطق على يد الناتلي بعد أن أتقن حفظ القرآن الكريم وهو في العاشرة .

درس الطب وبرع فيه وعالج الامير نوح بن منصور ففتح له أبواب مكتبته في بخارى . أنتقل أبن سينا من بخارى الى جرجان حيث اتصل به ابو عبيد الجوزاني الذي صار تلميذه الابرز .

حصل ابن سينا على منصب الوزارة في بلاط شمس الدين بن بويه واستمروزيرا مدة ست سنوات ثم اعتقل فترة ثم اعيد الى منصبه حتى وفاته . ابرز كتب أبن سينا : القانون في الطب ، والشفاء في الفلسفة ، وعشرات غيرها ، وقد درّس القانون في جامعات أوربا في العصر الوسيط وترجمت أجزاء من الشفاء ورسائل فلسفية اخرى مثل (النجاة)و(الاشارات) و(رسالة الطير) وغيرها .

كتاب (الشفاء)موسوعة علمية في الفلسفة قسمه المؤلف الى اربعة افسام هي المنطق والطبيعيات والرياضيات والألهيات ،وكل قسم يسمى (جماة) وكل باب سماه فنا ولكل فن عدة فصول .

الجملة الاولى في المنطق ولها تسعة فنون هي : المدخل –المقولات –العبارة –القياس –الرهان – الجدل – السفسطة –الخطابة – الشعر

الجملة الثانية هي : الطبيعياتن وتتألف من ثماني فنونهي : السماء الطبيعي

– السماء والعالم – الكون والفساد – الافعال والانفعالات – المعادن والآثار العلوية –كتاب النفس – النبات – الحيوان

الجملة الثالثة هي العلم الرياضي وتتكون من اربعة فنونهي : الهندسة– الحساب –الموسيقى –علم الهيئة .

الجملة الرابعة: الالهيات .

اكمل أبن سينا كتاب (الشفاء) خلال عشر سنوات بعد نقاش مع الجوزجاني ، فرأى الشيخ الرئيس أن يؤلف (الشفاء) في الفلسفة استنادا الى كتب القدماء وماحصل عليه بثاقب فكره وبصيرته فكان (الشفاء) علما ونظريات في الماهية والوجود ولوازم العقل والبرهان واليقين ونظرية القياس والرجحان وساها من ابواب الفلسفة والمنطق والعلوم

كان ابن سينا من وأبلغ الكتّاب، فإنه على الرغم من تبعات المناصب وأسفاره إلى البلاد القصيّة، وفي مثار الحروب وثنايا الفتن الأهلية، تمكن من وضع كتب كثيرة ممتعة يكفي أحدها لتأسيس مجده، ووضعه في مصافّ كبار حكماء المشرق. وقد دوّن أكثر من مائة كتاب تتباين في الإتقان، ولكنها تشهد بفضله وإلمامه بسائر علوم عصره، وانكبابه على العمل في أحرج الأحوال. ومعظم تواليفه لا تزال محفوظة إلى يومنا هذا، وكثير من كتبه الكبرى، كالقانون والشفاء، ترجمت إلى اللاتينية، وطبعت عدة مرات.

فكتاب الشفاء، وهو من موسوعات العلوم ودوائر المعارف، في ثمانية عشر مجلداً، محفوظة منها نسخة كاملة في جامعة أكسفورد، "والنجاة موجز الشفاء" وضعه الرئيس رغبةً في إرضاء بعض أصفيائه، وقد طبع الأصل العربي بعد "القانون" في روما عام ١٥٩٣م، وهو في ثلاثة أقسام؛ المنطق والطبيعيات وما وراء الطبيعة، وليس يوجد فيه القسم الخاص بالعلوم الرياضية التي أشار إليها ابن سينا في فاتحة الكتاب، وقال بضرورة ذكرها في الوسط بين الطبيعيات وعلم ما وراء الطبيعية، وقد طبع الكتابان كاملين ومتفرقين مرات عدة باللاتينية، منها مجموعة طبعت في البندقية عام ١٤٩٥م تشمل: المنطق، الطبيعيات، السماء والعالم، الروح، حياة الحيوان، فلسفة الفارابي على العقل، الفلسفة الأولى.

أوراق
العدد (1808)السنة السابعة -الاحد (30)
أيار 2010

"الدفاتر السرّية لأغاثا كريستي"..

كريستي العشوائية التي ازدهرت على الفوضى!

ترجمة / عادل العامل

كانت ذكيةً، و متعلمة، و ثابتة حين كان الأمر يصل إلى غرز سكين لقطع الورق في ظهر رجلٍ أو تسميم سيدةٍ عجوز بمادة السترنكين. لقد كانت أغاثا كريستي، و هي مؤلفة أكثر من 60 رواية جريمة قتل، و ست روايات اعتيادية، و أكثر من 140 قصة قصيرة، و 22 مسرحية، و عدد لا حصر له من القصائد، تكتب بتوازنٍ لا يُبارى عن الموت، و الجشع، و أحياناً عن الشر المؤذي الذي لا دافع له. و لقد قرأت، قبل عشرين سنة تقريباً، كل روايات كريستي الخاصة بجرائم القتل.

و اليوم، سأقتل من أجل فرصة للعثور على إحدى جثثها ثم أراقب الشك يقوّم بين نساء جريئات، و كولونيلات ودودين، و مغتربين رياضيين عادوا إلى الوطن، و خدم كانوا ـ كيف أعبّر عن هذا؟ ـ أذلاّءَ في الواقع، كما تقول كريستين كينيلي في مقالها هذا.

إن معظم شخصيات كريستي الذين من الطبقة المتوسطة و الطبقة العليا كانوا أفراداً يتّسمون بالتسلية كثيراً، لكنهم كانوا أيضاً نماذج متميزة. و كانت ميزة كريستي ـ الموفقة مرةً بعد أخرى، بدءاً بعام ١٩٢٠ و انتهاءً بوقت قصير قبل موتها في عام ١٩٧٦ ـ هي أن نماذجها لم يكونوا على الدوام قابلين للتنبؤ بهم على النحو الذي افترضه المرء في الأول. فأنت لم يكن باستطاعتك أبداً أن تخمّن القَتَلة حتي تكون هي قد كشفت القناع عنهم، ثم كان يحصل لديك ذلك الاحساس الفنتازي بالمفاجأة، و الحتمية المطلقة، في الوقت نفسه.آه! كان ذلك هو الطبيب الذي خنق أخته. كان يبدو لطيفاً، لكن الرجال في ذلك الوضع غالباً ما يُصبحون غريبين قليلاً ... طبعاً! وَكانت الممرضة في الواقع مَن سمّم المريضة العاجزة. أجل، إن عليك بالفعل أن تراقب حال النساء العازبات في سن معينة. هذا التنافر التام مرغوب فيه بشكلٍ عمومي جداً إلى حد أن السيدة أغاثا كريستي قد باعت أكثر من بليونين من كتبها في ٤٥ لغة (و إذا صدّقتَ موسوعة الويكيبيديا، ٤ بلايين كتاب في ٥٦ لغة).

فأي شيء، عندئذ، يمكن أن يكون أكثر إثارةً للصدمة من اكتشاف أن السيدة dame لم تكن سيدة lady؟ لم تكن أغاثا تجلس عند مكتب بدائي و هي تطبع بإناقة رواياتها، الفصل ١ يتبعه الفصل ٢، و هكذا، قبل أن ترتدي القفازات و تنزل عند الساعة السادسة بعد الظهر لتتناول كأس شَيري. فنحن نجد جون كوران John Curran ، في كتابه دفاتر أغاثا كريستي السرّية Agatha Christie's Secret Notebooks يكشف عن تشوّشٍ تام في طريقة عمل كريستي.

كان يومها الكتابي الأقل تشذيباً يبدأ بإيجاد دفترها، الذي كانت قد تركته بالتأكيد هناك تماماً. و بعد أن تجد دفتراً (ليس الذي كانت قد استعملته البارحة)، و تحدّق مذهولةً، ستحسم أمرها أخيراً و تنخس الشخصيات المراوغة و الحبكات المحتاجة إلى تزييت. و الأكثر إثارةً للدهشة، أن كوران يكتشف أن كريستي لم تكن تعرف، حين تبدأ كتابة رواياتها، مَن هو القاتل. آه! يبدو أن الكاتبة اللامعة لقصص الغموض يجب أن تعيش الغموض في الأول!

لقد عثر كوران على الدفاتر بينما كان يقضي عطلة نهاية أسبوع مع حفيد كريستي، ماثية برتشارد، و أسرته في غريوَي، البيت الذي تقضي فيه الأسرة عطلاتها. و سرعان ما استحوذ عليه الأمر، فقضى تلك معظم العطلة ثم السنوات الأربع التالية مستخدماً الدفاتر لتتبّع أثر تطور فِكَر كريستي القصصي و يرسم خارطة الأحداث و المواضيع على فنها. و تحتوي الدفاتر على آلاف الفِكَر، و الكثير منها مؤرَّخ قبل إنهاء العمل الذي ظهرت فيه، و القليل منها متعاقب، نظراً لكونها كانت تخربش على أقرب شيء في متناول يدها.

إن تدوين الملاحظات المشوَّش كان يعني أن أية رواية أو مسرحية كان يمكن أن تكون موزّعةً على دفاتر متعددة و سنوات كثيرة، كثيرة. فقد استخدمت كريستي الدفتر ٣ في الأقل لمدة ١٧ سنة و لـ ١٧ رواية. و كانت الدفاتر الأخرى شبيهة بذلك تقريباً؛ و لم تكن هناك سوى خمسة دفاتر فقط تتعامل مع عنوانٍ واحد (ثلاثة دفاتر تحتوي على قوانين كيميائية، و الدفتر الأخير فارغ). و هناك بعض الشواهد على أن كريستي حاولت أن تتولى أمر العناية بذلك الركام، مجدولةً المحتويات في قائمة عند بداية الدفتر الواحد. و بالنسبة لبعض الروايات، حاولت أن تفرض طريقة على ممارستها المتّسمة بالفوضى، محددةً حروفاً معينة للمشاهد و تقوم بتحريكها هنا و هناك. غير أن جهودها في التنظيم تبدّدت سريعاً. فالمحتويات متعددة الأبعاد مثل تركيبتها الشبيهة بأيشَر. فهي تشتمل على مشاهد معمولة تماماً، و خلفيات تاريخية، و قائمة بأسماء الشخصيات، و خرائط مضطربة لأماكن خيالية، و خلفيات مسرحية، و رموز للتذكر، و فكَر حبكات سيمكن التعرف عليها بالنسبة لأيٍّ من محبّي كريستي : " يطلب بويروت النزول إلى الريف ـ يجد منزلاً و تفاصيل خيالية متنوعة، " ينقذ حياتها مرات عديدة " ، " يستعلم يستفهم ـ كلاهما بالمعنى نفسه " . و ما هو أكثر من ذلك بالاضافة إلى أمور منذرة بالسوء قوائم بقالة : " صحف، ورق تواليت، ملح، فلفل، ... " . و لم يكن هناك حد فاصل بين حياة كريستي العملية و حياتها الأسرية. فقد كانت تدير أسرتها و تخربش ملاحظات لنفسها. و حتى زوجها الثاني، عالم الآثار سير ماكس مالوَين، كان يستخدم دفاترها، مدوناً بسرعة بعض الحسابات. و كانت ابنة كريستي، روزاليند، تمارس الكتابة بالقلم، و الأسرة كلها يحافظون على متابعة نقاطهم إلى جنب الملاحظات مثل " إمكانات السم ... السيانيد في الفراولة ... كونياين ـ في كبسولات؟ "

فكيف، بالله، استطاعت كريستي أن ترسم تراكيبها المشدودة بعناية من هذا الخليط العديم الشكل؟ هل تدبّرت ذلك لأنها كانت، كما تبيّن الدفاتر، منفتحة أولياً لكل شيء و تتأمل الموقف من كل زاوية؟ إن الدليل على سعة خيال كريستي يمكن تلمّسه أيضاً في ما تركته وراءها من ذيول مُتعبة لا تمضي إلى أي مكان على الإطلاق. فموتيفات و فكَر الآثار الحالية تبرز مرة بعد أخرى على مدى سنوات كثيرة لكنها لم تُحقّق أبداً في كتبها المنشورة. فتصوروا ماذا كانت كريستي ستفعل برجل لا ساقين له، صورة فوتوغرافية تحت الحمراء، توأمين متماثلين و غير متماثلين، خادمة في فندق؟ كما ينقّب كوران عن فِكَر بارعة لكن

لقد عثر كوران على الدفاتر بينما كان يقضي عطلة نهاية أسبوع مع حفيد كريستي، ماثية برتشارد، و أسرته في غريوَي، البيت الذي تقضي فيه الأسرة عطلاتها. و سرعان ما استحوذ عليه الأمر، فقضى تلك معظم العطلة ثم السنوات الأربع التالية مستخدماً الدفاتر لتتبّع أثر تطور فِكَر كريستي القصصي و يرسم خارطة الأحداث و المواضيع على فنها. و تحتوي الدفاتر على آلاف الفِكَر، و الكثير منها مؤرَّخ قبل إنهاء العمل الذي ظهرت فيه، و القليل منها متعاقب، نظراً لكونها كانت تخربش على أقرب شيء في متناول يدها.

غير مستخدَمة، و ينبش عن أجزاء متنوعة، عناوين متروكة، و مسرحية غير منجَزة، و جملة لم تكملها على نحوٍ معذّب، " فكرة طيبة ستكون ... ".

و الأكثر إثارةً للدهشة بشأن الشبكة التي كانت تنشرها كريستي كلّ يوم أنها كانت ترميه كذلك فوق قَتْلَتها. و قد افترضتُ على الدوام أنها تعرف تماماً مَن فعلها، بنفس الطريقة التي يعرف بها القاتل مَن يريدون أن يقتلوا. و بالتأكيد، كانت عند نهاية كتبها على الدوام تجعلك تُحس بأن القصة ما كان بالامكان أن تكون قد حدثت بأية طريقة أخرى. و أن ذلك قد بدا لك عكس هذا لأنك لم تستطع أنت أن ترى ذلك. لكن يتضح وفقاً للكثير من كتبها، أنها غالباً ما كانت تُجري سيناريوهات متعددة بالنسبة للضحية، و طريقة الموت، و هوية القاتل.

و يجد كوران أنه حتى الجزء الأخير من (ليلة لا نهاية لها)، حيث تتبع الراوي ببراءة إلى أن تعرف في الصفحات الأخيرة أنه القاتل، كان واحداً من الأجزاء اللاحقة من الحبكة التي تقرَّرَ استبعادها. و تكمن موهبة كريستي الكبرى، أو في الأقل الموهبة التي تجعل قرّاءها يُعجبون بها، في معرفة بماذا سيفكر قارئها و يشعر بالضبط، و في استغلال ذلك بدقة.

و ربما كانت تفهم تجربة قرائها جيداً هكذا لأنها كانت ترغم نفسها على أن تعيشها، و هي ترى جريمة القتل أولاً من خلال أعينهم البريئة المصدومة، ثم يكون عليها أن تُوجِد من فعلها. و في الوقت الذي يستخدم فيه كوران بعض الأبواب العريضة لتنظيم المادة التي يقدّمها (أغاثا كريستي في العمل، عطلة لقاتل)، فإنه ممانع بوجهٍ عام لفرض تفسيره الخاص. و بدلاً من هذا، نجده ينفض الغبار بلطف عن هذه المبتكرات الفكرية و يُبرزها للعيان. و مع إن لديه هذه المعرفة الحميمة بكلّية عمل كريستي، فأنا أتمنى لو أنه قد أعطانا المزيد من تحليله. فهو يلاحظ " أن العشوائية طريقتها "، و أن كريستي " كانت تزدهر ذهنياً على الفوضى "، لكنني لست متأكداً من أن ذلك يوضح أي شيء. فقد قالت كريستي عن الدفاتر نفسها، " بالطبع، لو أنني احتفظت بكل هذه الأشياء مرتّبةً و مصنّفة و في أضابير، لكانت قد أنقذتني من متاعب كثيرة ".

لكن في هذا، فإن ملكة الجريمة تبدو مخطئةً. و يمكنني القول إن دفاتر كريستي الستة الفعّالة تستحضر للذهن سطح مكتب الكومبيوتر الحديث. فما الذي كانت ستفعله بماك Mac ، عدا أن تقتل به أحداً؟

و أخيراً، فإن هناك قصتين لم يسبق نشرهما في نهاية الكتاب. و هما، للأسف، غير مرضيتين بوجهٍ خاص. فهما تبدوان أكثر شبهاً بمحاكاة كريستي. و من المفترض أنهما غير منشورتين لأنها لم تكن قد أنتهت من العمل بهما. و ربما بسبب من هذا، تلفتان نظرنا إلى سر أغاثا الحقيقيّ : أنها فهمت أنه كي تبدو شبيهاً بنفسك، فإن عليك أن تصحو كل يوم، و تُنزل كل شيءٍ، ثم يتوجب عليك، بشكلٍ حاسم، أن تقوم بتحريره كما لو كنتَ شخصاً ما آخر، منتفعاً من كل إمكانية، قبل أن تنجز القصة أخيراً و تسردها كما لو أنها قد جاءت هكذا لوحدها. إن دفاتر كريستي تبيّن أن القصص لم تكن تظهر مصاغة تماماً من رأسها و أن صوتها الكتابي المميَّز على النحو المشهور كان يجري تركيبه بصورةٍ كلّية.

عن / Slate

حول السيد الاركادي وأورسون ويلز

ترجمة : عمار كاظم محمد

مقدمة جون باكستر الجديدة لسيناريو عام ١٩٥٦ لأورسون ويلز السيد الاركادي والذي دعي باسم "لا ربان معروف " يكشف بشكل حقيقي على صفحاته الاخيرة ان الرواية قد كتبت في فرنسا من قبل موريس بيسي الذي تبنى نص اورسون ويلز السينمائي .

هذه الحقيقة تم الكشف عنها في فرنسا من خلال المراسلات التي جرت بين ويلز ومنتج فيلم الاركادي لويس دوليفيت لكن شيئا من هذا لم يمنع من طبع النسخة التي ظهرت مؤخرا من الرواية ومثل الطبعات التي سبقتها تم وضع اسم اورسون ويلز كمؤلف وحيد على غلافها .

هذا الامر غير مفاجيء فكيف سيستطيع الناشر ان يبيع نسخة غير موثوق من صحة ترجمتها الى الانكليزية من رواية فرنسية وفليم غير مكتمل خصوصا ان الرواية قد كتبت من قبل ناقد سينمائي منسي ؟

في البداية يجب ان نفترض ، على النقيض من ويلز ، ان الفيلم كان يجب ان يكتمل وهذا هو السبب الذي دفع لجنة التقييم على الاصرار على تسميتها بالسيد الاركادي " كاملة " على الرغم من ان ويلز كان عاجزا عن اكمال اي نسخة منها .

ان مهمة تبرير طرق عمل ويلز المبالغ فيها وتشظي نجاح الافلام من خلال الاستهلاك وشروط السوق قد ادت الى الكثير من التشويش دائما . حتى مقدمة باكستر التي تبدا تماما بشكل معقول قد تم طعنها عادة بالشكلية وتم الحط من قدرها .

ذلك الادعاء الذي لا يستند الى اي اساس ان ويلز ابتعد عن الافلام عادة حينما افلست الميزانيات وانهى حياته على الصدقة وللتغيير فانه يتعشى في احد المطاعم على امل ان يدفع احد ما ثمن ذلك.

لكن ذلك لم يحدث حينما دعاني الى الغداء في باريس عام ١٩٧٢ حيث لم تكن تجربتي فريدة في ذلك الوقت حيث بالكاد كنت انشر اي شيء في ذلك الوقت .

مع ذلك ارسلت اليه رسالة في احد ايام السبت الى استوديو المونتاج اسألة عن مشروع فلمه الاول

" قلب الظلام " حيث اجابني بعد يومين بمكالمة هاتفية ودعاني الى مطعم مأكولات بحرية ممتاز وهو نفس المطعم الذي ظهر في فيلم " F for Fake" الذي كان يقوم بمونتاجه في ذلك الوقت .

لقد دار حوارنا بشكل رئيسي حول مواضيع ادبية واخبرني انه لم يكتب رواية من أي نوع مضيفا " انه لم يقرأ سيناريو الاركادي و رواية كان اسمها " Une grosse legume" تم بيعها باسمه ونشرها بيسي كانت مجرد معالجة لفيلم " حيث اضاف الى احباطي اعترافه انه كان يفضل الروائي جون اوهارا على ويليام فولكنر وكنت قد توهمته قد صنع افلاما مثالية مثل ضوء في آب ومعالجته لروايات جوزيف كونراد التي لم تثر اهتمامه على الرغم من تبجيله لقلب الظلام و لورد جيم و النصر التي كان يريد تحويلها الى افلام ".

هناك تفسير واحد حول الكيفية التي فيها العديد من منتجي الأفلام الفعليون او المحتملون استمروا باعتبار ويلز شعلة او مثالا حتى عندما لايستطيعون الاقتراب من جوهره ذلك انه ظالم اعتبر رجلا حاز كل شيء بمفهوم القوة والحرية ولسخرية القدر ان الكثيرين من المعجبين به يقبلون ويصدقون نفس الاتفاقيات مع الاستوديو مثل تنقيحات الاستوديو والتسويق الاختباري التي كانت ستجعل من ظهور فيلم مثل المواطن كين مستحيلا .

لقد اصر ويلز بعناد على الحفاظ على حريته حتى بعد فترة طويلة من ذهاب قوته الامر الذي جعله مثالا مزعجا في احسن احواله . بعض الناس ظلوا على حسدهم له على القوة التي اطلقها ذات مرة استاؤا من الحرية التي كان يمارسها خصوصا حينما تصبح تلك الحرية مصدرا لمنع اعماله لسبب او لآخر .

هذا واحد من الاسباب التي جعلت من المذكرات التي صدرت اخيرا عن ابنته الكبرى غريس ويلز والمعنونة " ظلال ابي " شيئا ثمينا وعلاجا منعشا ، ان انجاز الكتاب لم يكن في الحقيقة لجعل ويلز اكثر احتراما او محبة فقد تركت انطباعا ان والدها كان مهملا دائما ، لكن لكي تذيب ذلك الانحياز وحالات صرف الانتباه الايديولوجية التي تحيطانه مثل الفكرة المريبة حول ان عشيقته ومعاونه الرئيسي اوجا كودر كانت سيئة بالنسبة له وربما اعطائه حجمه الحقيقي في الحياة .

برغم ذلك فان ويلز في الحسابات الشعبية مثل ما فعل بول كلين في "المواطن كين " وديفيد تومسن في " البرعم " تميل الى كونها احتقارا وغير واقعية ، بالاضافة الى انها لم تدرس الا بشكل ضئيل ربما لأنهما كانا مأخوذان باحساس الامريكان الحاد في ما يريدون ان يؤمنوا به .

فقد نجح كايل في تحويل فلم المواطن كين الى مجرد انتاج نمطي بعد ان تباطات صورته بشكل غير مريح في الخيال العام كونه اعتبر ميزة مستقلة تم صنعها من خلال الاستوديو ولاصلاح ذلك فهو في الحقيقة كان مجرد صحيفة كوميدية لهوليود .

ففي احساس مشترك بالاحترام كان غريس فدير يشترك بالاحباط مع الناس في ان ذلك الرجل العظيم لم يوثث لما اريد او يتوقع منه في اغلب الاحيان فقد كانت عبقريته تكمن في هذا الأمر وربما سوء حظه ايضا فلكي يتمكن فنان واب ان يكون موثوقا وثابتا او بمعنى آخر مستهلكا فعليه ان يعرض بعض الاحساس بالامن اي ان عليه ان يتصرف بشكل متوقع وهذا كان آخر شيء يمكن ان يفعله ويلز في اغلب الاحيان ، ان انتاج اعمال لم تر من قبل وعسيرة على الفهم جدا عند ما ظهرت أول مرة هذا يعني علينا ان نضيع العديد من السنوات في ملاحقتها فقد كان ويلز بعيد النظر ولذا بقي على قمة آمالنا ، لقد دفع ثمنا كبيرا لهذا الامر وكذلك نحن ايضا .

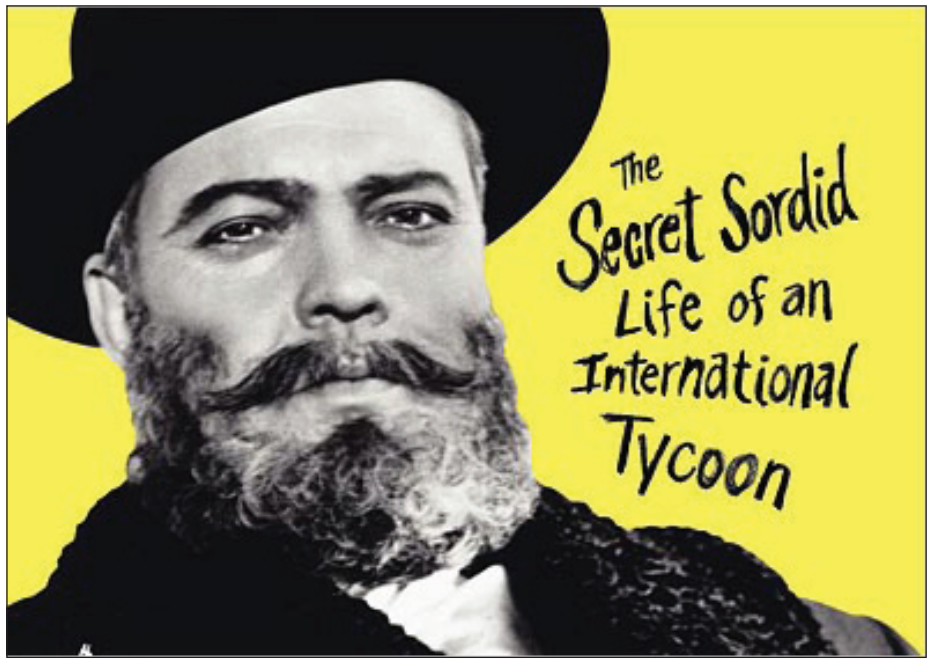

عن : الغارديان

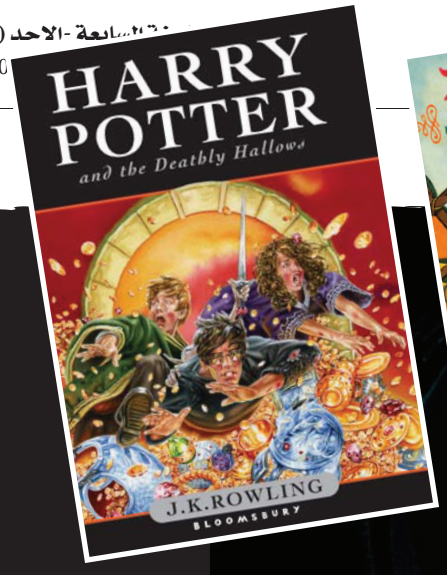

من هو هارى بوتر؟

لماذا ينتظر الناس في كل مكان ، بشوق شديد، مغامرت غلام ساحر اسمه هاري بوتر ؟! ربما لأنهم يرون أنفسهم فيه. فى الصيف الماضي تمكنت فيه «كاتى هوتش» أن تقفز على الحبل مائة قفزة دون توقف، اكتشف الأطباء أن الألم الذى تعانى منه فى خاصرتها يسببه ورم خبيث في كليتها. قالت «جينا بيكا»، أم كاتي، متذكرة: «فى لحظة واحدة تجد حياتك كلها قد انقلبت رأساً على عقب.. يحاول الإنسان أن يهيئ لأطفاله حياة آمنة، فى بيت تراعى فيه شروط السلامة وطعاما تتوافر فيه عناصر الصحة، حتى يتصور أنه قد سيطر على الأوضاع كلها.. لكنه فى الحقيقة لم يفعل شيئاً من ذلك».

نانسى جيبز

فى السنتين التاليتين، لم يتمكن الأطباء من السيطرة على المرض. تعرضت كاتى فى هاتين السنتين لسبع جرعات من العلاج الكيماوي، وثلاث جراحات فى الرئة وجراحة أخرى فى الكبد.

فى تلك الأيام، راحت الأم، جينا، تقرأ لابنتها الأجزاء الثلاثة الأولى من قصة هارى بوتر، التلميذ فى مدرسة السحر.. ذلك الصبى الذى يقاوم أعداءه الأشرار بشجاعة وبسالة.

وفى طريقها من بيتها فى شمال ولاية نيويورك إلى مدينة نيويورك للعلاج، وربما تأثراً بشخصية هارى بوتر، كانت كاتى ترتدى قبعة حمراء وتلصق على جبهتها علامة حمراء تشبه ندبة الجرح على شكل شعاع البرق وتغطى عينيها بنظارة سوداء كبيرة وتمسك بيدها عصا تشبه عصا السحرة.. لقد كانت على استعداد لمواجهة الصعاب كلها.

فى كانون الاول ، كان الجميع قد يئس من شفائها، فعادت كاتى إلى بيتها، ولم يتوقع أحد أن تظل على قيد الحياة حتى تقرأ الجزء الاخير من هارى بوتر.

فى تلك الأيام، وصلتها رسالة إلكترونية من شخصية تقيم فى بريطانيا.. شخصية سمعت عن صبية عمرها ثمانى سنوات تعيش فى نيويورك، مغرمة بهارى بوتر. قالت صاحبة الرسالة: «إننى أعمل جاهدة للانتهاء من كتابة الجزء الاخير ».

كانت صاحبة الرسالة هى جى كى رولينج، مؤلفة قصة هارى بوتر. وقد حكت فى رسالتها لكاتى عن الفصل الذى كانت تكتبه، وحدثتها عن الأستاذ لوبين، الرجل الذئب، وهو من شخصياتها المفضلة. وكلمتها عن بعض الشخصيات الجديدة التى ستظهر للمرة الأولى فى الجزء الرابع.. ثم حذرتها: «إن هذه المعلومات سرية للغاية.. فلا تطلعى عليها أحداً، وإلا.. تلقيتِ بومة تحمل إخطاراً بالبريد النباح من وزارة السحر.. لأنك أفشيت أسرارنا إلى المَجل».. أى الناس العاديين.

وكان التوقيع فى النهاية باسم: جى كى رولينج.. أو «جو» كما يعرفها طلاب قسم «جريفن دور».

فى الأيام والأسابيع التالية، كتبت كاتى لصديقتها الجديدة عن حفل عيد ميلادها، وعن أصدقائها، وعن كلبها الجديد الذى أسمته «بوتر جريفندور هوتش»؛ وهو مكون من لقب هارى بوتر ثم اسم القسم الذى يقيم فيه هارى فى مدرسة السحر ثم لقب عائلة كاتي. وكانت معنويات كاتى تتحسن يوماً بعد يوم، وتزداد إشراقاً من سعادتها بصديقتها الجديدة التى ظلت تراسلها باستمرار. وكانت «جو رولينج» ترد على الرسائل باستفاضة، وتحدثها عن بيتها الذى تعيش فيه فى اسكتلندا: «حيث تصطك النوافذ طول الوقت من شدة الريح فى شهر يناير، فأسمع أصواتاً غامضة مخيفة».. وقالت لها فى إحدى الرسائل: «إننى أسكن فى الطابق الأعلى مثل رون صديق هارى بوتر.. وفى الليالى العاصفة، مثل هذه الليلة، أستيقظ كل حين متسائلة: ما هذا الصوت؟.. فأنا كما ترين لست فى شجاعة هارى بوتر، ولو علمت مثلا أن هناك أفعى عملاقة تتجول فى بيتى ليلاً.. سوف أنكمش فى سريرى وأختبئ تحت الغطاء، وأترك غيرى يواجهها ويتخلص منها».. وقد حدثتها جو عن الأشياء الأخرى التى ترهبها، فقالت: «لا مانع عندى من مواجهة أناس فى مثل عمرك والحديث معهم.. أما الكبار، فإنى أرهبهم فعلاً».

كانت جينا، أم كاتي، تتابع الصداقة التى تنمو بينهما وتزدهر، وتلقت كاتى هدايا بالبريد من رولينج، مثل دمى على شكل بومة وقط بني. تقول جينا: «لم أصدق نفسى عندما وصلتنا الرسالة الأولي، لكن العجيب حقا هو استمرار المراسلة بينهما.. لم تكن مجرد رسالة أو رسالتين من كاتبة سمعت أن طفلة مريضة فأرسلت إليها تمنياتها بالشفاء..وإنما صداقة حقيقية.. كانت رولينج تقتطع من وقتها الثمين لتراسل كاتي».

هل كان ذلك نوعاً من الشفقة؟!.. ربما كان إعجاباً.. فبعد ذلك بشهور، قالت رولينج لمجلة تايم فى حديث لها عن شخصياتها التى ابتكرتها: «الشجاعة هى أكثر الصفات الإنسانية التى تثير إعجابي.. فالشجاعة فضيلة رائعة..وأعنى هنا الشجاعة فى كل مجالات الحياة». فهي، كما عبرت عنها رولينج فى الفصل الأول من الكتاب الأول، هارى بوتر وحجر الفلاسفة: «إنها الفضيلة الوحيدة التى لا يمكن ادعاؤها كذباً.. فأنتَ إما أن تتقدم نحو الغابة المليئة بالعناكب العملاقة وإما أن تحجم.. تواجه البلطجى أو تختبئ منه.. تتمسك بالأمل أو تستسلم لليأس والضعف».

توجه رولينج حديثها للأطفال باعتبارهم يعرفون هذه الأمور ويفهمونها أكثر منها. والأطفال يحبون الشخصيات التى ابتكرتها؛ وأحب الشخصيات إليهم هارى بوتر بالطبع.. ليس لأنه رائع وخارق للعادة.. وإنما لأنه شخصية مألوفة مفهومة، مثل الذين يرونهم فى الحياة الحقيقية.

ويرى الجميع أن رولينج تعرف جيدا ما تكتب عنه.. وتفهم معنى أن تكون غلاماً فى الثالثة عشرة من عمرك.. وتشعر بقلقك وارتباكك عندما تكتشف فى نفسك قدرات تمكنك من القيام بأى شيء.. إذا حاولت جاهداً.. يبدو أن رولينج وجدت طريقها بسهولة إلى قلوب الصغار لأنها لم تغادرها أصلاً منذ كانت هى نفسها طفلة.

ربما كانت هذه نقطة مناسبة لمحاولة فهم لماذا أصبحت كتب رولينج أكثر كتب الأطفال شعبية فى تاريخ الكتابة المطبوعة؟.. إذ من الصعب مقاومة الاعتقاد بوجود سحر حقيقى فى كتاباتها.. فهى تخاطب الأطفال فى كل مكان فى مشارق الأرض ومغاربها.. وهى تبدو كأنها تخاطب كل طفل على حدة، حديثاً خاصاً.. مع أنهم منتشرون فى حوالى مائتى دولة، ويتحدثون أكثر من خمس وخمسين لغة، وهناك طبعة «بريل» للمكفوفين.. وقد طُبِعَ من كتبها أكثر من مائتى مليون نسخة.. ومن شدة تعلق الصغار بكتبها، فإنهم يشترونها من مصروفهم الخاص، ويتابعون القراءة فى أسرتهم على ضوء البطاريات بعد أن يطفئ آباؤهم الأنوار ليناموا.. ويقرأ كتبها الأطفال الذين يفزعون من الكتب الضخمة، والذين يعانون من مشاكل فى القدرة على القراءة.. حتى الأطفال الذين لم يكملوا قراءة كتاب واحد فى حياتهم من قبل، يقرءون هارى بوتر مرة ومرتين وثلاث مرات.. وعشرا، وأكثر.

وتشير تقارير الآباء إلى ارتفاع كفاءة أبنائهم فى القراءة أكثر من أربع درجات فى خلال سنتين.. إنهم لا يصدقون مقدار النعمة التى أصابتهم.. فقد اكتشفوا أن أكثر الخبرات إثارة فى حياة هذا الجيل من الأطفال.. لم يكن مستمداً من شاشة السينما أو شاشة الحاسوب ولا أسطوانة مدمجة.. وإنما من صفحات كتاب.. وبسبب هذا الإنجاز المعجز، وبسبب حبها للأطفال أمثال كاتى هوتش وتعاطفها معهم.. أعلنت مجلة تايم فى في عددها الصادر منتصف العاع ٢٠٠٠ أن رولينج

وتشير تقارير الآباء إلى ارتفاع كفاءة أبنائهم فى القراءة أكثر من أربع درجات فى خلال سنتين.. إنهم لا يصدقون مقدار النعمة التى أصابتهم.. فقد اكتشفوا أن أكثر الخبرات إثارة فى حياة هذا الجيل من الأطفال.. لم يكن مستمداً من شاشة السينما أو شاشة الحاسوب ولا أسطوانة مدمجة.. وإنما من صفحات كتاب.. وبسبب هذا الإنجاز المعجز، وبسبب حبها للأطفال أمثال كاتى هوتش وتعاطفها معهم.. أعلنت مجلة تايم فى في عددها الصادر منتصف العاع 2000 أن رولينج هي: البطل الأوروبى لعام 2000.

مذهب المعتزلة من الكلام الى الفلسفة

تأليف: رشيد الخيون

تأتي دراسة فكر وفلسفة مذهب الاعتزال، جزءاً لاينفصم من كيان الفكر الاسلامي انطلاقاً مما حققه هذا المذهب في الفكر الديني والاجتماعي بشكل عام. لذلك يأتي هذا الكتاب اضافة نوعية للدراسات التي كتبت حول المعتزلة.

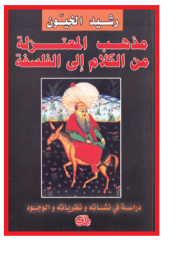

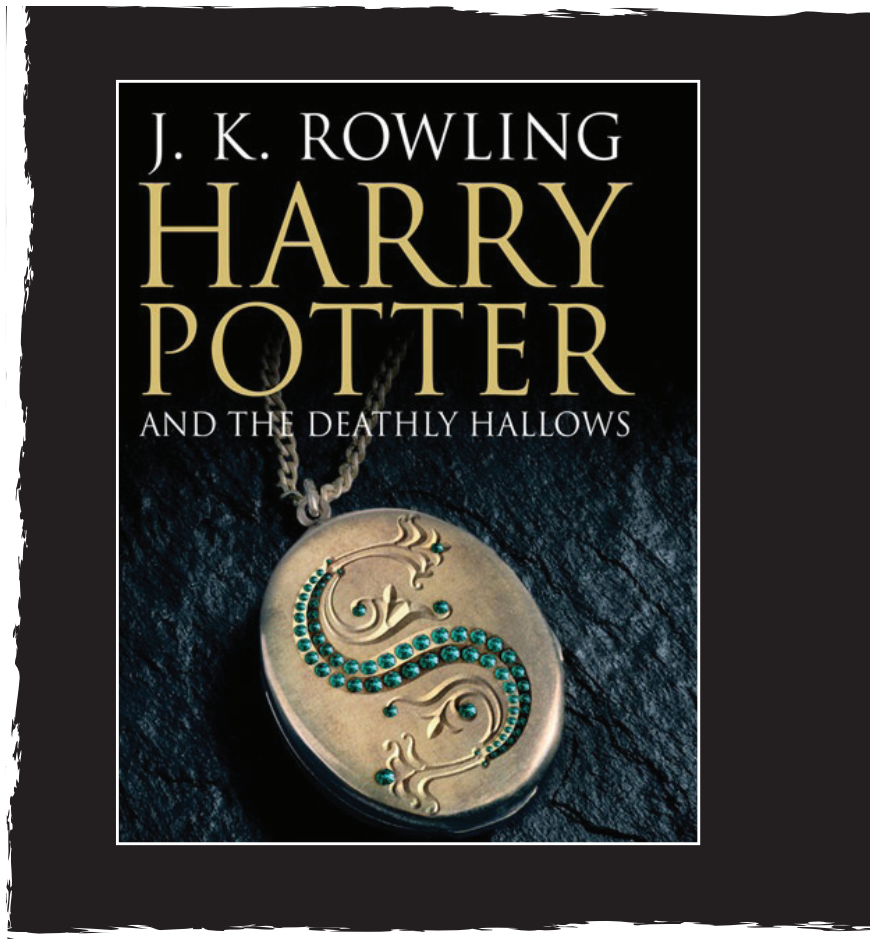

هي: البطل الأوروبى لعام ٢٠٠٠.

ولكن، ليست كل الأنباء بمثل هذا الإشراق، فقد صنفت جمعية المكتبات الأمريكية كتاب هارى بوتر: أكثر الكتب إثارة للجدل والخلاف فى الولايات المتحدة. ويتزايد يومياً عدد الآباء الذين يطالبون بسحب كتب هارى بوتر من أرفف المكتبات. والهجوم عليه كان أشد مما تعرض له كتاب «هكلبرى فين» لمارك توين. وكثير من الآباء المتدينين المحافظين يعتبرون هذه الكتب تروج لأعمال السحر والشعوذة.

أما الأبرشية البروتستانتية الألمانية فى مونسيجن بالقرب من مدينة أولم، فقد منعت كتاب رولينج الأول، هارى بوتر وحجر الفلاسفة، من العرض فى المكتبات، كما حذر أعضاء مجلس الأبرشية من أن قراءته قد تؤدى إلى ممارسات السحر والتنجيم.

ومازالت النقاشات دائرة لتحديد العوامل التى تساهم فى تشكيل وجدان الأطفال ومبادئهم الأخلاقية. فمثلا، يرى شارل جى تشابوت، مطران دنفر فى كولورادو، أنه أمر سيئ غير مناسب أن نركز فى قصص الصغار على أمور السحر والشعوذة، لكنه قد يكون مقبولاً فى سياق الحكايات الشعبية التراثية للأطفال.. فالجدل القائم حول هارى بوتر فى الحقيقة هو جزء من الجدل الأصلى القائم حول تكوين الشخصية والهوية.

وهناك صراع أدبى آخر قائم حول: هل تستحق هذه الكتب الاهتمام بها والتعليق عليها أصلاً؟. فهناك من يعتبرها مجرد صياغة عادية لأفكار تقليدية وحبكات مكررة. وكان الأستاذ هارولد بلوم من جامعة ييل هو أول وأشهر من قاد هذا الهجوم فى مقال له عام ٢٠٠٠ فى جريدة «وول ستريت جورنال». فقد قال إنها قصة تافهة ومفتعلة. وقد رفض بعد ذلك أن يتابع أى جزء تال منها. وقال فى حوار له مع مجلة تايم: «ربما بعد جيل أو نحوه، سوف تمتلئ صناديق القمامة بكتب هارى بوتر.. فهى مجرد نفايات وهراء وقتي، مصاغ بأسلوب رديء بشع».

وقد يتعجب الأستاذ بلوم إذا عرف عدد الكبار الذين قرءوا هذه الكتب، ثم قلبوا فى النصوص التراثية والكتب المتخصصة وغاصوا فى أعماق المراجع، ليستخرجوا منها الأصول التاريخية والشعبية للمسميات، والنماذج الأصلية للكائنات الموجودة فى الكتاب.

موريس سنداك كاتب ورسام لثمانية وثمانين كتابا من كتب الأطفال، يقول بعد أن قرأ كتاب رولينج الأول: «أعتقد أنها رائعة.. إنها مثلي، جامعة أشتات، فقد أخذت متفرقات من أفضل الآداب الإنجليزية، وعجنتها وخبزتها معاً.. وصنعت منها طبقاً خاصاً من إنتاجها هي.. إنها متميزة، وفى نيتى أن أقرأ كل الأجزاء التالية.. وإلا قتلنى أصدقائى ومعارفى من الأطفال».

أما المدرسون الذين يتعاملون مع الأطفال يومياً، فيبدو عليهم تقدير هارى بوتر والامتنان لمؤلفته. جيل هاكيت مثلاً، المكتبية من مدرسة مونرو الابتدائية فى أيوا تقول: «قد لا يكون هارى بوتر نصاً أدبياً مثل عناقيد الغضب، لكنه ليس لغزاً ضحلاً مثل مغامرات فى البحار».

اضافة إلى تقدير الآباء والمدرسين لكل ما يدفع الأبناء للقراءة، يزيد احترامهم للكاتبة رولينج: فكتاباتها ليست فاحشة أو منافية للأخلاق.. وليس بها وعظ ولا وصاية على عقول الصغار. وتؤكد ذلك ديبى ميتشل العاملة فى مكتبة فى أوك بارك فى إلينوي: «يظهر الكبار فى قصص الصغار فى صورة قبيحة.. فهم عادة مزعجون وعاجزون غير أكْفَاء.. أما عند رولينج، فالكبار حكماء وعادلون»... وتكتسب نبرة رولينج فى الكتابة قوة وحزماً حسب الموقف.. وهو ما يفتقده أطفال هذا الجيل. فتقول سوزان فيرليجر، المعالجة النفسية للأطفال: «نفسية الصغار أكثر تعقيداً مما نتصور.. ويميل الكبار إلى الاعتقاد بأن العالم وردى ومشرق دائماً فى أذهان الصغار.. لكنهم بذلك يسطحون مشاعر الأطفال العميقة».. أما رولينج فتطرق هذه المشاعر على مستوياتها العديدة.

قبل صدور هارى بوتر، كانت هناك دائما كتب حافلة بالأحصنة وحيدة القرن وبالكائنات الخرافية والحشرات العملاقة والسحرة، وكانت هناك كتب كثيرة عن الأيتام الذين يبحثون عن جذورهم، وعن المراهقين الذين يعانون من الحيرة والارتباك. لكن هارى بوتر، على عكس الأبطال مفتولى العضلات ومن ذوى القوى الخارقة، كان يبدو صبياً مسكيناً بسيط المظهر، لكن له قلب بطل؛ كان ضئيل الجسم رشيق الحركة، عصاه السحرية أمضى من السيف.. وتقول كارولين ذات الإحدى عشرة سنة المقيمة فى روما: «نحب هارى بوتر لأنه بالرغم من أن حكاياته عن السحر والسحرة، إلا أنها تتحدث كذلك عن مشاكل حقيقية مثل التى نقابلها فى المدرسة».

لقد أقامت رولينج جسراً يربط بين عالمها السحرى وبين عالم الأطفال. جسراً قائماً على قواعد وكوابح يشترك فيها العالمان. ففكرة وجود مدرسة هوجارت للسحر، وهى معهد لتدريب السحرة الناشئة دليل على أن التعلم يحتاج إلى وقت وجهد ومثابرة. فليس هناك تعويذة معينة تملأ العقل بالعلم والمعلومات. وأقصى ما استطاعت هرميون الوصول إليه فى الجزء الثالث هو «مُدَوِّر الوقت» ليمنحها مزيداً من الوقت للدراسة.. وعائلة ويزلي، أهل رون، كانوا فقراء. أى أن عالمهم يشبه عالمنا، فيه عائلة كريمة ومتحابة، مجدة ومكافحة، تكدح طول الوقت لتحصل بالكاد على ما يكفيها من الطعام. وحتى على المستوى الأسري، فالسيدة ويزلى قد تلقى تعويذة تجعل الصحون تنظف نفسها بنفسها، لكنها لا تستطيع أن تحصل على أدوات مطبخ من العدم.

لقد أبدعت رولينج عالماً يستطيع فيه الصبى أن يمتطى صهوة مكنسة ويطير بها، وأن يحادث الأفاعي، وأن يربى الوحوش كما نربى نحن الأسماك، لكنه لا يستطيع التخلص من حزنه وأساه على موت والديه أكثر مما يستطيع أى صبى آخر.. يقول كاسى برور ذو الخمس عشرة سنة من فلوريدا: «إنها تمزج صراعات الحياة الحقيقية بصراعات السحر المتخيلة. فهارى وأصدقاؤه يواجهون عقبات الحياة ويتخطونها تماماً كما يواجهون العقبات المتخيلة ويتخطونها.. إنها أفكار موحية، تدفعنا إلى الأمام».

إنها أفكار موحية ودافعة إلى الأمام، لكنها من حسن الحظ، ليست مثالية. فالسحرة أيضاً يعانون من الإخفاقات والإحباطات، ومن الغرور والحسد، ومن الملابس الرثة التى يخجلون من ارتدائها.. فهارى يعانى من الغيرة، وقد لا يراعى مشاعر الآخرين، وقد يخالف القوانين، وقد يخفى بعض الأمور عن الكبار فيقع فى المشاكل. وهرميون الذكية قد تكون قاسية أو غير مرنة أو يصعب التعامل معها. وهاجريت المحب قد يفقد تعقله من شدة حبه للوحوش الرهيبة. ورون الوفى الأمين يبدو متردداً وضعيف الثقة بنفسه.

ورولينج تحب شخصياتها وتدعو قراءها لحبهم؛ ليس بالرغم من ضعفهم، وإنما بسبب ضعفهم. فأخطاء الإنسان وضعفه تتضخم فى مرحلة المراهقة. والمحبة فى حد ذاتها جرعة شفاء تُهَوِّن من شدة المرحلة وعنفها.

إذا كانت هذه الكتب تقدم كل هذه الدروس وتعلى من هذه القيم.. فكيف يقوم حولها كل هذا الخلاف، ويثور بسببها كل هذا الجدل؟!.. إن هناك انقساماً حاداً بين أصحاب المذاهب والطوائف المسيحية حول استيعاب الآداب الشعبية واستعمالها فى نشر المبادئ الدينية. فهناك أنصار جاك بروك، راعى أبرشية فى نيومكسيكو، الذين يؤيدون المحرقة المقدسة التى أقامها، واحتلت أخبارها العناوين الرئيسية فى وسائل الإعلام حول العالم. وكانت كتب هارى بوتر من ضمن الكتب التى أحرقها، ويعلق بروك على ذلك قائلاً: «لقد أخرجت وسائل الإعلام هذه الحادثة عن سياقها، وأظهرتنى كأننى هتلر».. لكنه يعلن أنه مستعد أن يقوم بهذا العمل مرة أخري.. لأن هذه الكتب عن السحر، وتروج له بشكل أكيد وقاطع ومطلق..: «ويقولون إن الكتاب القادم يتكون من حوالى سبعمائة صفحة، فلابد أنه سيكون ممتلئاً إلى أعماقه بالسحر وعن السحر.. فكيف يقولون عنه بعد ذلك إنه سليم أو مفيد؟!».

لكن هناك من يعارضون هذا الرأى ويدافعون عن هذه الكتب باعتبارها لهواً بريئاً.. ومنهم من يمتدحها باعتبارها أداة لتقوية المبادئ الأخلاقية. فمؤسسة الخدمات الإخبارية الكاثوليكية التى يديرها أساقفة أمريكيون، يضعون هذه الكتب على قائمة الكتب التى ينصحون الصغار بقراءتها. وقساوستها، فى عظاتهم، يشبهون وصول هارى بوتر إلى الرصيف ٩,٣/٤ بقفزة إيمانية. ويقول جون فلمنج القسيس فى الكنيسة المنهجية فى تكساس: «إننا نخسر كثيراً إذا لم نجد فى الكتاب المقدس حكايات مؤثرة مثل هارى بوتر».

الساحرة الخجول:

قب اكثر من عشر سنوات، كانت فقيرة ومغمورة، عائل وحيد لطفلة صغيرة، وتتقاضى معونة اجتماعية.

والآن.. بعد أربعة أجزاء من هارى بوتر، وفيلمين سينمائيين، وأسطول ضخم من المنتجات ذات الصلة بهارى بوتر.. أصبحت ثروة رولينج تقدر بنحو مليار دولار، حسب تقرير مجلة «صن داي» اللندنية

وكذلك تغيرت حياتها الشخصية.. فقد اشترت بيوتاً بعدة ملايين فى لندن وإدنبره وعلى تلال اسكتلندا بالقرب من بيرث.. وفى نهاية عام ٢٠٠٠، تزوجت روليج وهى فى السابعة والثلاثين من عمرها، من طبيب التخدير نيل موراي، وهو فى الحادية والثلاثين من عمره.. وكانت قد التقت به عن طريق صديق مشترك.. وفى مارس الماضي، رزقا طفلاً أسمياه ديفيد، وتعيش معهم ابنتها من زواج سابق، جيسيكا وهى فى الحادية عشرة من عمرها.

تقول رولينج: «اسم هارى هو أفضل الأسماء عندى بالطبع».. لكنها تجنبت أن يعانى ابنها من سخرية زملائه مدى حياته بسبب ذلك الاسم.

لقد حاولت رولينج أن تلقى برداء الإخفاء على أسرتها ليعيشوا حياة عادية، لكن أبسط المسرات، مثل الذهاب إلى السوق سيراً على الأقدام أو حضور حفلة لابنتها، لا تستطيع ممارستها إلا تحت حماية مشددة من جيوش الصحفيين والمتطفلين.

وتطفل الآخرين هو جزء من معاناة رولينج من الشهرة. فقد قالت فى لقاء لمجلة تايم: «لم أحلم أبداً أن أكون مشهورة.. كل ما تمنيته هو أن أقوم بعمل ما أحبه، وأن أحسن القيام به».

عن مجلة «تايم» الأمريكية

أوراق
العدد (1808)السنة السابعة -الاحد (30)
أيار 2010

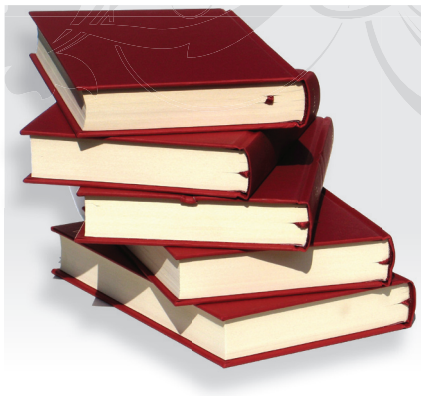

كتب أثرت في حياتي

سامي عبد الحميد: قرأت ألف ليلة وليلة فعشقت عالم الأحلام

الإصدارات الحديثة في المسرح تستحوذ على معظم اهتماماتي

سجل اعترافاته : محمود النمر

الفنان الكبير سامي عبد الحميد ارتبط اسمه بالثقافة العراقية منذ الخمسينيات حيث شكل حضوره كمخرج مسرحي علامه مميزة من علامات الثقافة في العقود الاخيرة سامي عبد الحميد والكتاب علاقة لاتنفصم عراها ، فاين ما تجد سامي تجد الكتاب بصحبتة فهو رغم اهتمامه بالاطلاع على احدث الاصدارات في مجال المسرح ، فهو ايضا مترجم مشهود له بدقة ترجماتة واختياراته المتميزة في هذا المجال فقدم للمكتبة العربية ترجمات لاشهر كتب المسرح مثل اساسيات الاخراج المسرحي لالسكندر دين والفضاء الخالي لبيتر بروك والحقيقة والخيال عن طريقة ستانسلافسكي في التمثيل وعشرات من الكتب التي شكلت مصدرا مهما للدارسين

في اروقة كلية الفنون الجميلة التقينا الفنان الكبير وسألناه عن اخر كتاب يقرأ ابتسم ابتسامته المعهودة وقال بطريقة مسرحية

×لماذا لاتقول كم كتابا تقرأ فيه الان ، فانا اقرا اكثر من كتاب بالاضافة الى اطاريح الطلبة ، حاليا اقرأ في كتب عن جماليات المسرح الحديث لكاتب بولوني وفيه يتحدث عن العلاقة بين النص المسرحي والعرض المسرحي من خلال دراسته لاعمال المخرج الشهير غروتوفسكي صاحب كتاب المسرح الفقير والذي اشتهر بتقديم عروض مسرحية تعتمد على جسد الممثل ،واذكر انني كنت انوي في الثمانينات ترجمة كتاب المسرح الفقير عن الانكليزية ولكنني عرفت انذاك ان المترجم القدير والناقد المسرحي الدكتور كمال قاسم نادر انجز ترجمة للكتاب ، فصرفت النظر عن ترجمته وترجمت بلا منة كتاب الفضاء الخالي لبيتر بروك والذي يتناول اهمية الفضاء في العرض المسرحي وبالمناسبة فان بروك هو من قدم غروتوفسكي للمشاهد البريطاني وكتب مقدمة للترجمة الانكليزية لكتاب المسرح الفقير ، الكتاب الاخر الذي اقرء فيه كتاب عن المسرح الشعبي كتبة ناقد مسرحي انكليزي وفيه يقدم شرحا لمفهوم المسرحية الشعبية حيث يؤكد المؤلف ان المسرحية الشعبية لاتعني المسرحية المكتوبة باللهجة الدارجة كما يتوهم البعض وكما هو شائع عندنا وانما المسرحية الشعبية هي المسرحية التي تتناول احداثا محلية وتسلط الضوء على الواقع اليومي للناس ، وبهذا فهو يعتبر عددا من اعمال شكسبير اعمالا شعبية واعمال ابسن وتشيخوف وتنسي وليامز وارثر ميللر اعمال تدخل ضمن هذا المفهوم والكتاب شرعت في ترجمتة ، اما ثالث الكتب التي اقراها فهو مسرحية مارا صاد فهذه المسرحية قراءتها منذ اكثر من ثلاثين عاما ، واليوم اعيد قرأتها بتصور جديد ، المسرحية تتناول مرحلة مهمة في تاريخ الثورة الفرنسية وفي قراءتي الثانية لها وجدت ان هناك تشابها في الاحداث والمواقف التي نمر بها الان وبين ماجرى في فنسا انذاك

* هل يمكن ان تخبرنا عن اول كتاب قرأته؟

– كان والدي موظفا كبيرا في الدولة وقد تنقل من خلال وظيفته باكثر مدن العراق فانا عشت معظم طفولتي وصباي في مدينة السماوة ومن هوايات والدي القراة ، وكان يحتفظ بالبيت بعدد من الكتب ابرزها مجلدات قديمة لالف ليلة وليلة وروايات لااتذكر اسماء كتابها وايضا عدد من الكتب الدينية ، الف ليلة وليلة استهواني منذ البداية فاخذت اتصفحة ومازلت اتذكر قراءتي الاولى له حيث اخذني الكتاب الى عالم من السحر والخيال ، وقرب الي عوالم الحلم وربما هو هذا السبب الذي قربني من المسرح وجعلني احاول ان انقل عالم الخيال الى خشبة المسرح ،

* اول كتاب كتبته

– اول كتاب كان ترجمة لمسرحية ، حيث ترجمت مسرحية لابسن (البطة البرية) كنت اريد تقديمها للمسرح ، ولم اقدمها وحاولت طباعتها لكني وجدت لها ترجمة مصرية فقررت ان لاانشرها . اما كتابي الاول فهو الحقيقة والخيال وقد نشرته بحلقات في مجلة السينما والمسرح التي كانت تصدر في السيعينيات ثم نشر بكتاب من اصدارات كلية الفنون الجميلة .. واول كتاب تاليف باسم فن الاضاءة وهو كتاب منهجي لايزال يدرس في كلية الفنون الجكيلة

* كتاب تمنيت ان تقراه

–عوليس لجميس جويس بحثت عنها في مكتبات لندن واشتريت نسخة ولكني مان قرات اول صفحات حتى ادخلني الكاتب في عوالم معقدة فتركته جانبا حيث كنت منشغلا بالدراسة انذاك واتمنى الان ان اعود لقراته

*وكتاب تعود لقراءته

– مسرحيات شكسبير لااامل من قراءتها واعود لها دوما ، وتعجبني ترجمة جبرا للماسي الكبرى هاملت ، الملك لير ، مكبث ، عطيل . فهي ترجمات غاية في الروعة وحافظت على ايقاع مسرحيات شكسبير وتوهجها

فوكوياما يتصدر كتب العام في أميركا

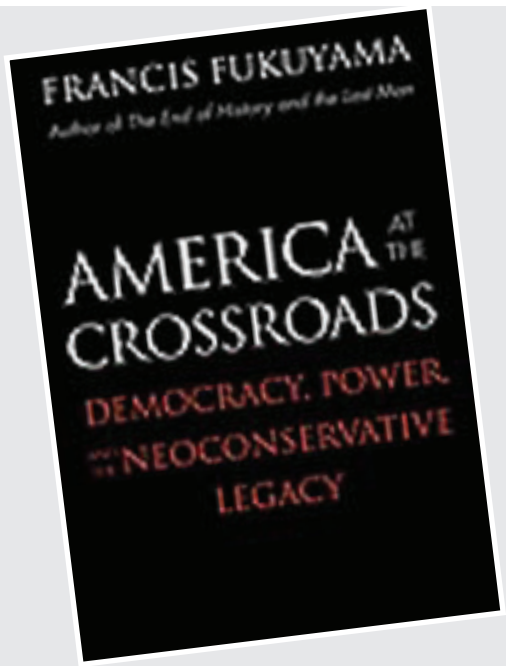

تصدر كتاب لـ «فرانسيس فوكوياما»، الذي يعد من أبرز منظري المحافظين الجدد قائمة أهم مئة كتاب في أميركا التي تنشرها صحيفة «نيويورك تايمز» في هذا الوقت من كل عام، وتدرج فيها الكتب الأكثر تأثيرا وبروزا على مدار العام. الكتاب هو «أميركا عند مفترق الطرق . الديمقراطية والسلطة وتراث المحافظين الجدد» الصادر عن جامعة يل، والذي شكل التعبير الأكثر وضوحا عن الانقسام الذي ساد حركة المحافظين الجدد على صعيدي الفكر والحركة، حيث فتح فوكوياما النار على أخطاء إدارة الرئيس بوش وقدم نصائح لأميركا للخروج من مآزقها في المستقبل. وأوضحت الصحيفة الأميركية أن محرري ملحقها المتخصص في عروض الكتب و هو «نيويورك تايمز بوك ريفيو» قاموا بوضع قائمة بأهم الكتب وأكثرها تأثيرا في القراء منذ الرابع من ديسمبر ٢٠٠٥ وحتى الأمس، وأن كتاب فوكوياما احتل صدارة القسم غير الروائي في القائمة التي تعد الأكثر أهمية من نوعها في العالم.

وجاء في أعقاب كتاب فوكوياما في القائمة كتاب «عند حافة كنعان . أميركا في سنوات كينغ» من تأليف تايلور برانث ويعد المجلد الثالث من سيرة حياة مارتن لوثر كينغ.

وخلافا لما توقعه الكثيرون، فإن كتاب «حالة إنكار» للصحافي الأميركي الشهير بوب وودوارد والذي يعد الجزء الثالث من سلسلة «بوش محاربا» لم يحتل مرتبة متقدمة في هذه القائمة، حيث احتل المرتبة التاسعة من نهاية القائمة.

وفي المرتبة الخامسة عشرة نجد كتاب «الفوضى الشاملة . المغامرة الأميركية في العراق» لمؤلفه توماس ريكس والذي يرسم صورة شاملة بقلم مراسل «واشنطن بوست» المخضرم للكيفية التي غرقت بها أميركا في المستنقع العراقي.

وجدير بالذكر أن فوكوياما قد ألقى الضوء في الكتاب على الخلافات المحتدمة التي شقت صفوف المحافظين الجدد وانتقد بشدة الأخطاء التي وقعت لدى تطبيق أفكارهم في العراق وأفغانستان.

و كان فوكوياما قد أحرز شهرة عالمية مدوية بكتابه «نهاية التاريخ» الذي أثار موجة هائلة من التعقيبات والمناقشات لأطروحته الرئيسية.

الكتـــاب المحجـــور

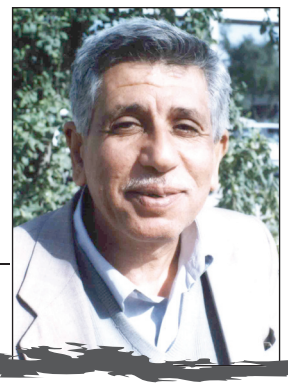

محمد خضير

حدثنا مدرسنا في المدرسة الاعدادية بالبصرة، انه سمع في ثلاثينيات القرن العشرين بكتاب نادر مخزون في مدينة النجف، فركب سفينة شراعية وسيلة النقل انذاك، وبعد سفر دام شهرا في النهر، عثر على خازن الكتاب، فانتسخه منه وعاد بضالته الى البصرة، تسبقه سعادة الحصول على اثر من القرون الخالية ، ينتمي هذا المدرس الى جماعة وقعت في هوى اقتناء الكتب النادرة، عليها محمد رضا الشبيبي تسمية "صرعى الكتب"، ولما اشتد اوار الرغبة المستورة لدى هذه الجماعة، صار افرادها يبحثون عن معجم يحصر الالفاظ المستعملة في تأليف الكتب ونسخها وطبعها وتجليدها وخزنها، وتتجذر مواده اللغوية في انماط المؤلفات التي تليق بها اغلفة الحديد بدلاً من اغلفة الجلود، ويطبق عليها خزنة القصور في خزائن لا تلمسها يد ولا تبصرها عين، ثم تصوروا ان ترتيب مواد المعجم التي لاتخضع الى نظام ابجدي او صوتي، ستتقابل في اعمدة متجاورة كي تفسر التوسع الدلالي لاستعمالات الكتب المحجورة في عصور تالية لعصور النسخ اليدوي، وتنتقل بالمعجم الى ما وراء عصر الطباعة فقد تتصدر اعمدة المعجم مفردات مثل "حجر" و "نسخ" و"اول" بالتقابل مع مفردات مثل "طبع" و"نشر" و"قرأ" وقد يذيل المعجم بتسميات مثل "نص" و"علامة" و"شفرة" مستحدثة من جذور كلمات مثل "متن" و"باب" و"طغراء" كي تتكامل الوظائف التفسيرية لكتب غاية في التعقيد اللغوي والتشبيك الدلالي، وربما دخلت المعجم كلمات من اللغات التي ترجمت عنها الكتب ، كاللغة السنسكريتية التي نقل منها كتاب (كليلة ودمنة) ان الترتيب المقترح لهذا المعجم يخضع لنظام العمل في ورش النسخ والترجمة، ولقواعد التحول والانتشار في الورش الطباعية، حيث ولدت كلمة "زنكغراف" المقابلة لكلمتي "أوفست" و"دسك"غيرت هذه العلامات المتحولة انماط التأليف والتلقي وقت ظهورها، كما اقلقت كلمة مثل "مانفستو" ثم كلمة "انترنيت" قواعد الورشة الطباعية، ومنحتا الكتاب المطبوع قدرة تأثير متساوية في الوسطين الفردي والاجتماعي، بأي كيفية طبع ولأي غرض استعمل.

بمساعدة هذا المعجم ستردم الفجوة بين نمطين قرائيين واستعمالين للكتاب المحجوز، وستساعد تفسيراته على هدم العوازل الرقيبة التي أبقت النصوص على الخفاء، وتقترح لمضامينها ترتيبا فكريا وذوقيا حراً يخرجها من مخزن التاريخ المصفح بالحديد ففي مادة "حجر" سنقرأ هذه الاشارة الموجزة: "الكتاب المحجوز: كتاب تستطيع ان تزيل حجره بالاسقاط التأويلي على مضمونه، أي بقلب باطنه على ظاهره". وفي مادة "نسخ" نقرأ :"الكتاب المنسوخ: صورة طبق الاصل من كتاب محجور ، تكتسب بالتداول قوة المنشور السري". وتحت مادة "اول": تحليل نسيج النصوص بمحاكاة تمتمة الغابة او حركة الرمال".اما مادة انترنيت، فتقابل التفسير التالي: "شبكة الارتباط بين ما نفستوات العالم". بهذه التحولات المتقابلة تنعطف علامات المعجم بعضها على بعض ، ويشتبك جنس بجنس ويدخل نسيج في نسيج، فتساعد "صرعى الكتب" على فك الحجر عن كتب جديدة تزداد انتشارا في عصر الالة الالكترونية.

يبدأ كتاب (كليلة ودمنة) دورة من الكتب المحجورة المؤلفة من طبقات النسخ الوسيطة المترجمة عن النسخة الاصلية انحدر الكتاب باللغة الفهلوية عن اصول سنسكريتية مفرقة على خرافات هندية قديمة.. وعلى اساس النسخة الفهلوية ترجمت نسختان سريانية، وضعها راهب يدعى (بود) عام ٥٧٠ للميلاد وعربية وضعها ابن المقفع عام ٧٤٧ أو ٧٥٠ للميلاد اكتشفت النسخة السريانية في دير ماردين عام ١٨٧٠ ونشرت بعد ست سنوات في ليبزك بترجمة المانية ، اما اول نشر للنسخة العربية فقد تم على يد (دي ساسي) عام ١٨١٦ ، وبعد فقدان النسخ الهندية والفهلوية والسريانية، صارت نسخة ابن المقفع اصلا لترجمات كثيرة. والاطار الحكائي للنسخة العربية التي طبعت طبعات مختلفة هو واحد، ملك هندي ظالم (دبشليم) يخزن كتابا في الحكمة المحكية بألسن الحيوانات ، وضعه حكيم برهمي (بيدبا) في اثني عشر بابا بلغة الهند القديمة ، ليردع الملك عن ظلمه لرعيته، يسمع ملك فارس (كسرى انو شروان).. بخبر الكتاب المحجور، فينفذ كبير اطبائه (برزويه) الى بلاد الهند مزودا بالمال والهدايا ليستخرج له الكتاب ، يسافر برزويه متنكرا ويخالط خازن الملك زمانا ويستميله بلطفه وامانته وسعة علمه، فيمكنه الخازن من نسخ الكتاب سرا، وينقله الى لسانه ويرسله الى مليكه، يسر انو شروان بحصوله على كتاب الحكايات، وكي يجازي برزويه على صنيعه بأمر وزيره (بزرجمهر) بعقد بابين في صدر الابواب الاصلية للحكايات.. يذكر في الباب الاول سيرة حياة الطبيب، وفي الاخر خبر بعثته الى الهند التي تكللت بنقل الكتاب، ولا تتضمن النسخة الفهلوية سوى هاتين المقدمتين وتخلو النسخة السريانية من اية مقدمة، اما النسخة العربية من الكتاب فقد تصدرتها اربع مقدمات عرض ابن المقفع في واحدة منها مضامين الكتاب ونسب المقدمة التي توضح سبب تأليف حكايات بيديا الى علي بن الشاه، اضافة الى المقدمتين اللتين تتضمنان سيرة حياة برزويه وقصة بعثته الى الهند المنسوبتين الى بزرجمهر، لذا زاد الظن بابن المقفع انه وضع المقدمات الاربع كلها، وأوهم قراءه بالتنازل عن كتاباتها الى كتاب غيره.. كما اقام ترجمته العربية على طبقات من اللغات الوسيطة، اننا نعثر في تخطيط ابن المقفع لنسخة (كليلة ودمنة) العربية على سمة من سمات الكتب المحجورة، تقوم على الايهامات المرجعية، والاختراعات اللغوية المسببة بفقدان النسخ الاصلية، اننا في بداية تقنية روائية معاصرة تتكرر فيها مقدمات شبيهة بمقدمات (كليلة ودمنة).

تعزز رواية (اسم الوردة) لأمرتو إيكو فكرة الكتاب المنسوخ عن كتاب محجور، وتزيد على البناء التناسخي لكتاب (كليلة ودمنة) طبقات لغوية مركبة من النسخ سنعرف من رواية إيكو ان طبيعة المعرفة الكونية متناقضة كمتاهة دير من العصور الوسطى، وشاملة كمكتبة سرية ، وقاتلة كلعنة كتاب محجور، وان الخلاص من لعنة الكتاب وفك رموزه يتطلبان حكمة قارئ يجمع في قراءته تجربة الحدس الالهي في رؤيا القديس يوحنا، وتجربة العلم الارض في اختراعات روجر بيكون، اجتمعت هاتان التجربتان في شخصية راهب فرنشسكاني حصيف يدعى (غوليمالودي باسكرفيل) أتى الى دير جبلي معزول (اواخر نوفمبر من عام ١٣٢٧) للتحقيق في جرائم غامضة أودت بحياة عدد من رهبان الدير، وقد عاونه في التحقيق واكتشاف اسباب الجرام راهب مبتدئ اسمه (أدسو دي مالك) غادر ديره والتحق باستاذه المحقق واستنادا الى مخطوطة هذا الراهب الشاب (في السنوات الاخيرة من القرن الرابع عشر) بني ايكو روايته (اسم الوردة) المكتوبة في اواخر القرن العشرين.

تبتدئ الرواية وتنتهي في حجرة كتابة الراهب (أدسو) بديره (مالك) وقد غدا شيخاً هرما، يدون مشاهداته ابتداء من لحظة وصوله الدير الجبلي مع سيده المحقق حتى ساعة افتراقه، عنه وعودته الى ديره، بعد ان اكتشفا كتابا مزعوما لأرسطو حجر عليه في مكتبة الدير راهب اعمى متعصب يدعى (يورج) كان قد سمم صفحات الكتاب فتسبب في موت الرهبان الباحثين عن المعرفة المحجورة ثم في حريق الدير ومكتبته. تقع مخطوطة أدسو المدونة باللغة اللاتينية في يد رئيس دير يدعى الاب (فالي) فتكون اساسا لترجمة فرنسية بنشرها في كتاب عام ١٨٤٢ يحدثنا امبرتوإيكو في مفتتح روايته انه عثر على طبعة الاب فالي لمخطوطة أدسو عام ١٩٦٨ ، فوضع لها ترجمة فورية دونها في كراسات كبيرة اشتراها من براغ، بانتظار صديقة عزيزة عليه، لكن اجتياح القوات السوفيتية للمدينة اضطره ال السفر الى فيينا، وهناك التقى الروائي صديقته وصعدا في قارب بنهر الدانوب، ثم افترق عنها وقد ترك عندها طبعة فالي لمخطوطة أديسو، لذا واصل التنقيب عن الكتاب المفقود في المكتبات والاديرة الفرنسية فلم يجد له اثرا ولم يؤكد مصدر موثوق وجود الكتاب او حقيقة رئيس الدير الفرنسي ، حتى خامره الشك بمخطوطة أدسو ومترجمتها، وفي مارس من عام ١٩٧٠ عثر ايكو على كتاب عن الشطرنج يحتوي مقتطفات من المخطوطة الاصلية، وان ترجمته لها كانت تفتقر الى الصدق ام لم تكن زائفة، فاصبح لزاما على ايكو ان يعود الى كراساته ليؤلف من ملاحظاته التي دونها خلال الرحلة روايته التي ستحمل عنوان (اسم الوردة) وهي النسخة الثالثة في سلسلة النسخ المزعومة عن الدير الجبلي ومكتبته لقد عقد امبرتو ايكو فصلين تمهيديين ليوهم قراءه بحقيقة اللقبة التي تستند الى النسختين اللاتينية والفرنسية السابقتين لنسخته الايطالية التي دفعها لنشر عام ١٩٨٠ لم يكن ايكو اقل وفاء وامانة من سلفه فالي حيث ابقى على المقاطع اللاتينية الاصلية التي تتضمن اقتباسات علمية ودينية فاستحق بذلك ان يكون واحدا من اصدق "الشهود الشفافيين" الذين اعقبوا ابن المقفع ومارسوا "عبادة فك الرموز" الا ان رواية (اسم الوردة) وهي تنتظم في طبقة من طبقات الكتب المحجورة المتجرمة التي تمرس المفسرون المتعاقبون على انتاج "دلالات الدلالات" من بنائها، قد ترسل نسخة خاطئة من الرسائل الكونية، لذا يتوجب البحث عن ترجمة صحيحة اخرى تضاف الى نظامها اللغوي المتراكم. وقراءتها بدلالة الامتزاج الدقيق بين الحدس الالهي والسحر الطبيعي الذي يميز الكتب المحجورة.

ان انتقال الكتب المحجورة عن لغات وسيطة تتراكم نسخها وتبتعد عن النسخة الاصلية، سيدخل في معجمها الفاظا تضبط مسؤولية التأليف لكنها ستطمس حقيقة المؤلف في تاحية اخرى، ستوضع على طريقة الترتيب المتقابل لفظة "الف" وحدها ازاء الفاظ اقل منها تحديدا ، او اكثر شمولا، مثل طوضع" و"نقل" "وترجم "و "اقتبس" اننا نقترب طبقة بعد طبقة من نسخة النموذج المثالي، لكتاب سعى به وسطاء المؤلف، وخزنة الاثار الخطيرة، بين مرحلتين مرحلة الخزن المكتبي ومرحلة الخزن الالكتروني هنا استعمل "الخزن الالكتروني" مقابل "الحجر المكتبي" في عملية ارسال فورية مجهولة المرسل على الشبكة الفراغية، وستفعل عملية النسخ، فعلها الخطير في انتساخ الكتاب المحظور، نظرا لخاصيتها في عبور "الطرق الهوائية" وسرعتها في نشر "النموذج المثالي" للنسخة الاصلية المحجورة سيخلق الارسال الالكتروني نوعاً مكن عبادة الكتاب (= عبادة الرسالة) شبيهة بعبادة الرموز الرياضية التي اعتقدت بها جماعة "فيثاغورية" من بقايا الوثنية اليونانية في الاسكندرية ابان العقود الاولى لانتشار المسيحية اطلق (الان نادو) على هذه الجماعة اسم (عبدة الصفر) في روايته المترجمة الى اللغة العربية، ونطلق في عرضنا لعبادة هذا العصر اسم (عبدة الفراغ) على المرسلين المجهولين الذين يستعملون دهاليز الشبكة الالكترونية بدلا من دهاليز تحت الارض التي اختبأ فيها (عبدة الصفر) الفيثاغوريين.

يكفي النسخة المحجورة (المخزونة) ان تكون على قدر من الحكمة المحظورة، ومؤلفها على قدر من النبوغ والمجهولية، لتغدو هدفا مباشرا للارسال الفوري، يقول طه حسين ان مقتل ابن المقفع بأمر من الخليفة ابي جعفر المنصور، على يد عامله في البصرة، لم يكن بتهمة الزندقة التي شاعت بحقه، وانما بسبب تأليفه (رسالة الصحابة) وهذه الرسالة امثولة اخرى في اسداء النصح لذوي السلطان وصحابته، لكنها امثولة مزدوجة الدلالة يؤدي فك رموزها واعادة انتاج دلالاتها الى مفعول مضاد في مرآة الرسالة.

فقد يأتي الدور على الناصح ليتجرع مرارة النصيحة من كأس المنتصح. وتصبح الرسالة المحظورة فخا قاتلا لمن يخطئ ارسالها، سينقذ الارسال المجهول على اطراف شبكة الفراغ الكونية عشرات النسخ المحجورة من المحق والتدمير عبر عملية انتساخ غير محدودة، لكن كوننا الهائل الاتساع، المرمز باخطر العلامات القاتلة، سيبقى جائعا لكتاب لم يطبع له مثيل في الحكمة المحظورة ورسالة لم يرسل مثلها على شبكة الفراغ، او يترجم لهما نظير.

امبرتو ايكو

أوراق
العدد (1808)السنة السابعة -الاحد (30)
أيار 2010

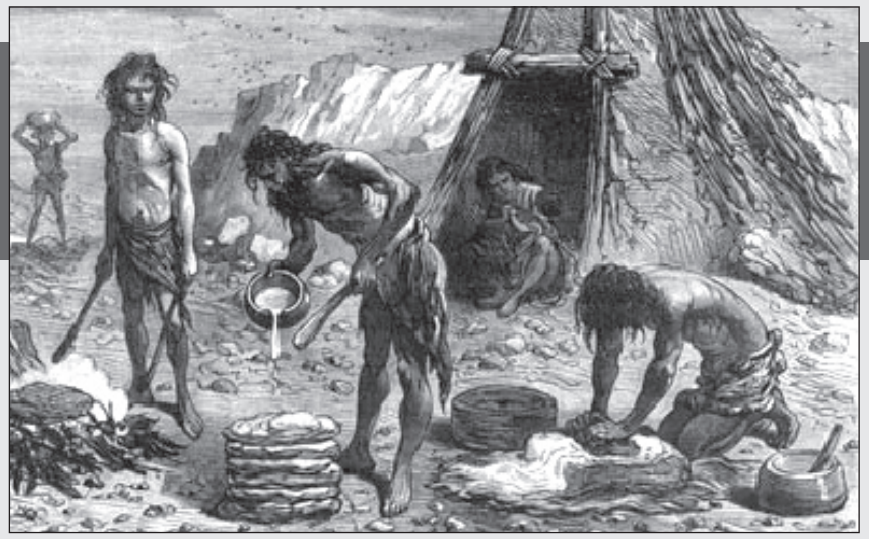

الطبخ الذي جعلَنا بشراً!

ترجمة / عادل صادق

قبل مليونين و نصف المليون من السنين فقط، كبرت أدمغتنا. و بعدها بأقل من مليون سنة، كبرت أدمغتنا مرةً أخرى، و تغيّرت وقفتنا و طريقة سيرنا، و انكمشت فكوكنا، و صرنا أطول.هذان التغيّران يحددان نوعنا في الخليقة، ويميّزاننا عن زميلاتنا الرئيسات الاخريات (من الثدييات). هذا ما يقوله ريتشارد رانغهام في كتابه الجديد (الامساك بالنار: كيف جعَلَنا الطبخ بشراً).

ولدى رانغهام فكَراً جديدة عن السبب في حصول هذه التغيّرات. فهو ليس لديه محاججة مع الحكمة المقبولة بوجه عام و التي مفادها أن أول تحوّل لنا ـ من الكائنات الرشيقة الحرة التسلّق إلى الهابيلاين habiline مستخدمي الأدوات و الميالين للعيش اجتماعياً ـ كان نتيجة للتغذي على اللحوم. لكن خاصية التغيّر الثاني ـ من الهابيليس العاقل إلى الانسان البدائي الهومو إيريكتَس ـ لم يتم تفسيرها بشكل ملائم، و يعتقد رانغهام بأن لديه الجواب على ذلك : فقبل ١,٨ مليون سنة، تعلّمنا أن نطبخ. و الطبخ يحسّن القيمة الحرارية للغذاء، و يوسّع مدى ما هو صالح للأكل. و قوّى ذلك حرفياً نشوءنا أو تطورنا.

إن الفكَر الكبيرة الجيدة في ما يتعلق بالنشوء نادرة. و غالباً تكون مجرد قصص، تربط معاً نتفاً معقولة ظاهرياً من السبب و النتيجة على مدى مشهد عقلي intellectual أكثر تعقيداً بكثير. و للوهلة الأولى، تبدو محاججة رانغهام قد تمّ اصطيادها من تلك المجموعة المراوغة. و لا أحد يمكنه أن يعرف بالتأكيد متى أصبح الطبخ سارياً لأن المصادفات دقيقة بحيث لن يعثر أحد أبداً على لحم مشوي نصف مأكول و يميزه على حقيقته. (و لقد وجد علماء الآثار أفراناً أرضية من فترة ما قبل أكثر من ٢٥٠،٠٠٠ سنة و هو أمر مذهل تماماً).

و يمكن القول إن مهمة رانغهام ، عندئذ، تلحق بالدليل المفحم على أن اختراع الطَبخ هو التفسير الممكن الوحيد للتحوّل الذي أوقفنا على أقدامنا، و قلّص معدتنا، و منحنا أسناناً بسيطة و ألواح فكوك متراجعة، و ضخّم أدمغتنا إلى حجمها الحالي. و الخبر الكبير هنا أن المؤلف يحقق نجاحاً. فكتاب (الامساك بالنار) شيء نادر، كتاب في العلم يبعث على الانتعاش. و هو ، بسبب من اهتمامه بموضوع الأكل و الطبخ، كتاب ينوي أن يقاوم اختبار الزمن.

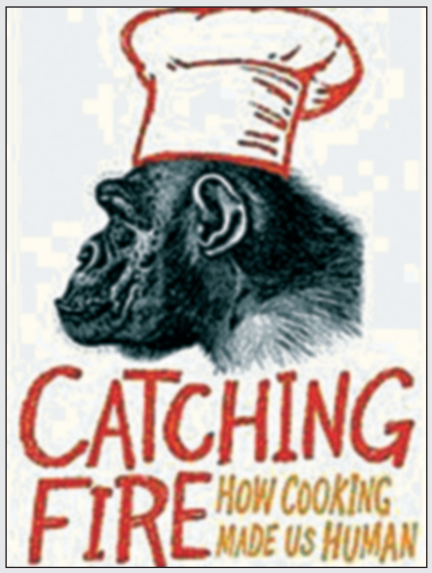

إن ظهور أسنان إنسان الهومو إيريكتَس ، و شكل جمجمته و سعة معدته تحتل موضع القلب من تقرير رانغهام. و هذا هومونيد hominid كان يمضغ أقل و يفكر أكثر. و الأدلة الاستنتاجية التي يجمعها رانغهام، إن كان هناك شيء منها، هي أكثر اضطرارية حتى. فمراجعته الأدب الأنثروبولوجي، مثلاً، تبيّن أن لا أحد، قديماً أو حديثاً، مستقراً أو متنقلاً، قد استمر في البقاء لأكثر من موسمين على غذاء معين بالحالة الطبيعية أي خاماً. و البشر، يقول رانغهام، مكيَّفون للطعام المطبوخ مثل تكيّف البقر للحشيش. و هما تكيّفان بدني و سايكولوجي. فلماذا ما تزال النساء يقمن بإنجاز أعمال منزلية أكثر من الرجال؟ لماذا هناك هذه الكثرة من العنف المنزلي الذي تجر إليه إخفاقات ظاهرة أو مدرَكة في التحضير و التموين الجاهز للطعام؟ يعتقد رانغهام بأن الزواج الأحادي البشري قد نشأ أو تطور كمضرب حماية، حيث يضمن الذكور أن زوجاتهم الضعيفات الملازمات للموقد لا يجعلن طعامهم يتعرض للسرقة.

إن انسلال رانغهام إلى مجال السايكولوجيا النشوئية يهيّء أجراس الانذار للرنين. لكن الانذار ، مرة أخرى، يبرهن على أنه كاذب. و لقد انقضت حياة رانغهام في دراسة علم البيئة السلوكية المتعلق بالقردة. و هو يستوعب علم اقتصاد الطبخ و يفهم كيف أنه يمكن قد أثّر في سلوك الرئيسات الاجتماعي. و حججه مقنعة و هو لا يدعي الكثير جداً في مسألة تبصراته في حياة نوعنا المنزلية الأقل هناءً.

و وفقاً لكل أرثنا الخاص بالرئيسات (أو الثدييات)، فإننا ما نزال ما نعتقد بأننا كناه قديماً : قرداً متكيّفاً. و إن ماضينا يحرف سلوكنا الحاضر بطرق ينبغي علينا أن نفهمها. و أخيراً، مع هذا، فإن ظرفنا الاقتصادي المباشر يسيطر على الطريقة التي نطبخ بها و نأكل و نتصرف في ما يتعلق بالطعام. و معدلات السمنة المنزلية تستمر في التصاعد، و هذا يشكل تحريراً liberation و قلقاً معا.

عن / Telegraph Books

مشاكل الأيرلندي فاريل تقتنص جائزة "البوكر المفقودة"

،وهي الجزء الثاني من ثلاثيته الشهيرة عن الإمبراطورية البريطانية والتي تجمع ما بين الخيال والتاريخ كما ذكرت صحيفةالناشيونال بوست ". وكانت جائزة البوكر قد منحت أول مرة عام ١٩٦٩ وجاءت جائزة "البوكر المفقودة" لتكريم الكتب المميزة التي صدرت عام ١٩٧٠ و لم تنل التكريم الذي تستحقه، وذلك عندما غيرت مؤسسة البوكر قواعدها عام ١٩٧١، حيث أصبحت تمنح جوائزها للأعمال الصادرة في العام نفسه، وبالتالي حرمت الأعمال الصادرة قبل هذا التاريخ من المنافسة على الجائزة. وهذه هي المرة الثانية التي يفوز فيها جيه جي. فاريل بجائزة البوكر فقد سبق أن حصل عليها عام ١٩٧٣ عن رواية "كريشنابور" وهي الجزء الثاني من ثلاثيته التي قدمها حول الإمبراطورية البريطانية واعتمدت على التمرد الهندي ضد البريطانيين في ١٨٥٧، وقد سبقتها روايته "المشاكل"، وتلتها "قبضة سنغافورة" والتي نشرت قبل وفاته عام ١٩٧٩.

ووفقاً لما ذكرته صحيفة "الديلي تلغراف" جاءت هذه الجائزة التي توج بها فاريل ليكون ضمن ثلاثة كتاب فقط تمكنوا من الحصول على جائزة البوكر مرتين، فينضم في ذلك لكل من جون ماكسويل كويتزي من جنوب إفريقيا الحاصل على جائزة نوبل والبوكر مرتين، والكاتب الأسترالي بيتر كاري. يذكر أن من ضمن الأعمال التي وصلت إلى القائمة القصيرة للبوكر المفقودة والتي استقرت عليها لجنة التحكيم "الطيور على الأشجار" لنينا باودين، و"خليج الظهر" لشيرلي هازارد، و"نار من السماء" لماري رينو، و"مقعد السائق" لموريل سبارك، و"قطاع فيفي" لباتريك وايت، إضافة للرواية الفائزة "مشاكل " لجي .فاريل" تكونت لجنة تحكيم الجائزة من كل من الصحفية والناقدة راشيل كوك، وكاتي درهام مذيعة النشرة بـ "ITN"، والشاعر والروائي "توبياس هيل".

ومما قاله "لون تريون" المدير الأدبي لجائزة بوكر "أن لجنة التحكيم قد اختارت قائمة رائعة من الروايات التي نشرت قبل ٤٠ عاماً ولكن صداها ما زال يتردد حتى اليوم وما زالت تقرأ حتى الآن". وسبق لثلاثة من الذين رشحوا للبوكر هذا العام الفوز بالبوكر أو الترشيح لها وهم فاريل والذي فاز بالجائزة عن روايته "حصار كريشنابر" عام ١٩٧٣، وموريل سبارك كانت من ضمن القائمة القصيرة لبوكر عام ١٩٨١ عن رواية "التسكع مع النوايا"، وكذلك نينا بادوين ودخلت إلى القائمة القصيرة لعام ١٩٨٧ عن رواية "دوائر الخداع"

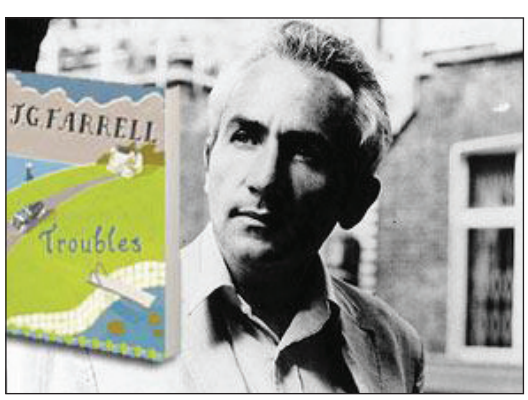

وكما ورد بالصحيفة البريطانية ، قال متحدث باسم جائزة البوكر أن رواية "مشاكل" لفاريل فازت بأغلبية الأصوات حيث حصلت وحدها على ٣٨٪ من عدد الأصوات أي أكثر من ضعف ما حصلت عليه الكتب الأخرى، وقد فازت من بين ٢٢ كتابا وقع عليهم الأختيار للترشيح للجائزة وتضمنت أعمالاً لكل من براج الرب، إيريس مردوخ، ماري رينو، موريل سبارك، سوزان هيل، وباتريك وايت.

تدور أحداث الرواية عام ١٩١٩ حول الميجور بريندان أرشر وهو احد أبناء الطبقة العليا الذين شاركوا بالحرب ويعود مرة أخرى إلى أيرلندا بعد أن كتبت له النجاة، وهو يأمل لرؤية خطيبته لإنجلينا سبنسر، والتي تنتمي لعائلة ثرية تمتلك فندقاً يدعى "ماجيستك هوتل"، ولكن يفاجأ بتغير خطيبته وتدهور ثروة أسرتها حيث أنخفض أموالهم بشكل مذهل، وبعد موتها يجد نفسه غير قادر على المغادرة. ومن خلال الكتاب يظهر تراجع القوة البريطانية في ايرلندا، ويظل الميجور بريندان يراقب الأوضاع في ظل تنامي حركات الاستقلال وارتخاء قبضة الإمبريالية من البلاد.

الجائزة تجعلنا نسلط الضوء على الحياة والموت المأسوي لـ جيه . جي فاريل وهو أحد أشهر الكتاب في جيله، ولد بمدينة ليفربول في ٢٥ يناير ١٩٣٥ لعائلة ايرلندية ونشأ في إيرلندا، وتوفي في ١١ أغسطس ١٩٧٩، في حادث مأساوي إثر عاصفة قوية عندما كان في رحلة صيد قبالة الصخور على الساحل الغربي جنوب أيرلندا.

اشتهر فاريل بكتابته التاريخية والتي تناول فيها الاستعمار البريطاني خاصة ثلاثيته الشهيرة "مشاكل" عام ١٩٧٠، و"حصار كريشنابور" ١٩٧٣، و"قبضة سنغافورة" ١٩٧٨.

فلسفة الفن المعاصر

مراجعة لكتاب بندر وبلوكر Bender & Blocker

الفصل الخامس: الفن ومزاياه، يتضمن مقالات اعتيادية عن هذا الموضوع لمونرو بريدسلي، فرانك سيبيلي وجيمي سيرسلف ومقالة مهمة لم يُعَدْ نشرها أبعاد الفن". ويهتم والتون بفكرة ان المزايا الجمالية قابلة للادراك. مقابلة "التون" مفيدة جدا في انها تكشف للطلبة ان معرفة تاريخ الفن وسياق انتاج العمل الفني هما من العناصر المهمة للاعمال الفنية. كما تتضمن مقالات ستورف ومقالات جيرولد لفنون، "ما هو العمل الموسيقي؟" وآخر لجون بندر "الموسيقى والميتافيزيق: انماط وصيغ، اداءات واعمال". والتي يعقب فيها على نقاشات مبكرة في هذا الموضوع. الفصل السادس "الخبرة الجمالية وقيمة الفن" تتضمن دحض "دكي" الكلاسي، للموقف الجمالي"، نظرية الخبرة الجمالية، أسطورة الوقت الجمالي، فضلا عن مقالات في هذا الموضوع لبيردسلي، كودمان، دانتو ومقالة أخرى لديكي عن "الادراك الالي".

انجيلا كَران (2-2)

ترجمة ياسين طه حافظ

الفصل السابع "اسئلة التفسير" والثامن "تقويم الفن وجدل النسبية". الفصل العاشر تضمن مواد عن هذا الموضوع غالبا ما تهمل في كتب الجماليات المنهجية، مثل معرفة العالم عبر الفن.

لا استطيع التفكير، على اية حال، بان فحص هذه المقولات، وان كان ذلك مما يعزز الموضوع كثيرا. لكني أرى ان تكون الآراء الواردة في الكتاب لا من الفلاسفة التحليليين وحدهم ولكن من فلاسفة ذوي اتجاهات أُخرى، كفلاسفة القارة، فأولاء أيضاً موضع امتياز. هذه إجراءات صحيحة عادة في موضوعات تفسير الفن وتقويمه. فنحن مثلا نجد مفكرين مثل فوكو وبارت يوافقان على استنتاج بيردسلي بان القصديات، لا علاقة لها بتفسير العمل الفني، ولكنها، وكما يتضح في الاقل، تتصل بالموضوع من منظور فلسفي مختلف.

يعيدني هذا الى السؤال الذي بدأت به: كم يكون هذا الكتاب مفيدا وقد اختيرت مقالاته بصورة رئيسة من تقليد تحليلي وباضاءات مهما كانت، هي ضيقة؟ وكم يكون الامر معقولا أكثر لو وفرت هذه المقالات للطلبة مرجعية للمناقشات الجارية في هذا الحقل؟ بطريقة ما، يبدو انها رغبة المحررين لان ينالا الكيكة ويأكلانها أيضاً. هما ارادا ان يقدما الامتنان لفلسفة ما بعد الحداثة بوصفها تصنع تحدياً مهما لعمل وطرائق الفلسفة التحليلية. ويقولان ان لا يوجد سبب لانكار وجود امتدادات واضحة بين التيارات المتماثلة التي نشهدها الان في الجماليات التحليلية ومضامين الفكر. كما انهما ادركا اذا ما كان للجماليات التحليلية مستقبل، فعليها ان تراجع، اذا لم تنتقص كلياً من، التساؤلات القديمة المتعلقة بالفن بوصفه وسيطاً، ويعودان لتفحص مسائل اكبر عن دور الفن في السياق الاجتماعي، الاخلاقي، وفي الثقافة السياسية. مع ذلك، فجهد الكتاب لان يقدم للطلبة نقاشات مهمة في الجماليات بين الما بعد حداثيين والفلاسفة التحليلين، يخل به هذا التمثيل القليل لفلاسفة يعملون خارج النقد التحليلي. هناك مقال لـ هوسلفرمان "فلسفة ما بعد الحداثة"، ومقال توماس سيرنا "الفن، الثقافة والتعبير عما بعد الحداثوي: جمالية متواصلة". كذلك لناقد الفن دونالد كوسيت: "شخصية ما بعد الحداثة المتناقضة". ولكن هذه لاتعطينا نقاشات كافية، عن فلسفة ما بعد الحداثة، ولاتساعدنا على فهم الفن. مناقشة جارلز جنك عما بعد الحداثة والمعمار ترد الى الذهن كقطعة مفيدة في هذا الموضوع. ومقالة بقلم بجي ابراند زكلن "النسوية في السياق" "دور الفلسفة النسوية في كتاب يضم أربعا وخمسين مقالة. هذه ضُمِّنَتْ في فصل ما بعد الحداثة، وان كان واضحاً ان أسلوبه مما يتفق والفلسفة التحليلية. المرء يتوقع ذلك. لو كان المحرران جادين بفحص مقولات كيف يتحدى الفكر ما بعد الحداثي الطرح الجمالي التحليلي، اذن لقدما مادة تمثل فلاسفة مثل دريدا، ليونارد، غادامير (بالطريقة التي تمت فيه انثلولوجيا مارجوليس "الفلسفة تتطلع الى الفنون".

على أية حاول مناقشة السؤال المركزي للقسم الأول من الكتاب: هل للجماليات مستقبل؟" قد اختيرت خالصة من الفلسفة التحليلية. وعن طريقة اختيارهما، يقول المحرران: لاننا نرى ان الناقد في حقل عمله هو أكثر اطلاعا ممن يأتي من حقل آخر". المقالات التي جاءت هنا كلها مع التقليد، وعدد منها كانت قد نشرت أول مرة في صيف ١٩٨٧ بعدد خاص من مجلة "الجماليات ونقد الفن". قد يجيد المحرران بان قراءة ليونارد ودريدا ستكون صعبة جدا على أكثر الطلبة قراءتها لكني اعرف من تجربتي الشخصية ان الاستفادة من هذا الكتاب متصلة بجملة قراءات من فوكو، بارت ودريدا وسيجدها الطلبة ليست أكثر صعوبة من مقالات اعيد نشرها من JAAC والتي هُيِّئَتْ لجمهور أكثر استعدادا من مستوى طلبة قبل التخرج، في الجماليات. هذا يترك القارئ يفكر ان النقد المهم فعلا للجماليات التحليلية ومناهجها وأسئلتها، قد جاء من الحقل نفسه. اذن، ولهذا السبب، اخفق الكتاب قليلاً في الوصول الى مبتغاه وهو ان يقوّم مستقبل الجماليات التحليلية من دون التمثيل الكافي لمن لهم آراء فيها ولا حتى لعدد من الإصدارات والمناهج في الجماليات التحليلية، وهنا يرد ذكر الفيلسوف التحليلي نوبل كارول الذي قدم طريقة جديدة للتساؤل في موضوع الجماليات، مثل طبيعة الفيلم كوسيط جمالي، لكن لا نرى أياً من اعماله قد ضُمن في الكتاب. أكثر من هذا ان المحررين قد انتبها الى ان المهتمين بالفن بدءوا ينأون عن الجماليات التحليلية وباتجاه ما بعد الحداثة منذ التحمت الجماليات التحليلية بما وراء النقد. لقد أخفقت بالتوجه نحو موضوعة دور الفن في السياق الاجتماعي، السياسي والثقافي الاوسع. فلو اراد المحرران مناقشة تحرك الجماليات التحليلية باتجاهات جديدة، مضمّنين فحص دَوْر الفن في الثقافة، فسيحتاجان عند ذلك الى قراءات تمثل هذه الموضوعات لفلاسفة بينهم فلاسفة النسوية الذين تهتم اعمالهم بهذه القضايا. بدلاً من هذا، نجد ان دائرة الموضوعات ظلت هنا بحدود الموضوعات التقليدية، وان الكتاب يدور حول الشكوك الاعتيادية لكي يناقشها.

وما دمت ناقداً لهذا الكتاب، ولهذه الأسباب، علي القول: ان هذا الكتاب كان مفيداً لطلبتي وخبرتي تقول انه سيؤدي دوره أفضل للطلبة الذين لهم خلفية فلسفية، بخاصة، الفلسفة التحليلية. وسيكون اقل حُسناً للصف الذي ليست له خلفية فلسفية مسبقة. وعلى الرغم من هذه الملاحظات السريعة، يظل هذا الكتاب موضع ترحيب، وانه إضافة مهمة لما لدينا من كتب منهجية.

سارتر.. كيف صرت كاتباً؟

«الكلمات ومقاطع أخرى من السيرة الذاتية» عنوان المجموعة الصادرة عن «دار لابلياد» للكاتب والمفكر والفيلسوف جان بول سارتر وهي تعتبر تكريمية عن هذه الدار التي تختار كتّابها ومؤلفيها من بين النخبة. وإذا كانت قد صدرت أعمال عدة لسارتر عن «لابلياد» فإن بقاء كتاب السيرة «الكلمات» خارج هذه المعادلة أعطى شعوراً لسارتر قبل وفاته وللفرنسيين عموماً أنه دون مستوى باقي أعماله. فهو نشره في مجلة «الأزمنة الحديثة» عام ١٩٦٣، ثم صدر عن «دار غاليمار» عام ١٩٦٤. كذلك اعتبر سارتر أن كتابه «الكلمات» هو بمثابة «الوداع للأدب» ونشره على هذا الأساس، إلا أنه لقي النجاح السريع وبشكل منقطع النظير ومتواصل حتى جعله محط أنظار لجنة نوبل العالمية التي قررت وبسبب هذا الكتاب أن تكون «جائزة نوبل للآداب» لعام ١٩٦٤ من نصيبه، غير أنه رفضها.

وإذا كانت شهرة سارتر منذ ستينات القرن العشرين وحتى نهاياته والتي لا مثيل لها بحيث لم تكن النجومية للأدباء والمفكرين بهذا المقدار الى حين بدأت فلسفته "الوجودية" تظهر على المحك وعلى كل لسان وصارت موضوع كل نقاش في عصره، فهي من دون شك بسبب حيوية هذا المفكر وديناميكية أفكاره، حتى وصفه بعض النقّاد بـ"الكتلة الحيوية". ولقد طغت أعماله الفلسفية على الأخرى المتعلقة بالسيرة مثلاً. غير أن هذه السيرة "الكلمات" تشهد على ولادة "نجم" في عالم الفلسفة والأدب والمسرح على حد سواء، وتغطي مذكراته وطفولته من سن الرابعة حتى الحادية عشرة وقد قسّمها الى قسمين: "القراءة" و"الكتابة" وكان ينوي إطلاق عنوان مختلف لها وهو "جان من دون أرض" غير أنه غيّره في اللحظة الأخيرة قبيل الطبع وشرح السبب في المقدمة على أنه كان يقصد به "جان من دون أب" لأنه ولد في عائلة "لأب ميت" و"أم مسلوبة الحقوق" و"جدّ متسلّط" حيث مارس هو دور "البهلوان" و"المهرّج" في كوميديا طفولته التي كان عنوانها هي الأخرى "كوميديا الراشدين".

المغامرة

ولقد اتسمت هذه السيرة الذاتية بحيوية وبإيقاع سريع يجعل القارئ يغوص سريعاً في المغامرة مع الكاتب. وتبدأ بالتالي: "في الألزاس، وقرابة العام ١٨٥٠، قرر أستاذ مدرسة محاط بأولاد كثيرين أن يصير بائعاً في دكان صغير...".

ويختصر سارتر الطريق التي قادت "الولد الذي لا يتمتع بجمال الوجه" الى الكتب... ذلك العالم الذي اكتشفه وصار شغفه الأول: "واليوم أيضاً، أقرأ وأقرأ كل شيء حتى سلسلة "الكتب السوداء"... وبجرأة أيضاً كتب سارتر: "وهكذا أصبحت خائناً واستمريت في الأمر. أنطلق في فكرة أو مشروع وأعطي نفسي كلياً للعمل وأضحّي بوقتي وأصبح شغوفاً الى حدّ الجنون بالأمر وألتزم العمل والأصدقاء والحب... وفي لحظة أتخلّى عن كل شيء، أتنكّر لذاتي، لعملي، لإيماني، لأفعالي، لحبي، وبكل جرأة أتنكّر لكل شيء لأنني أستبق الأمور، وأحاول أن أتدارك كل شيء وبمشاعر مسبقة ما قبل "الخيانات" القادمة حتماً"...

وعن السعادة كتب سارتر: "أخيراً، الإنسان السعيد اليوم يعيش بوحدة. لماذا؟ لأنه لا يعرف أن يلخّص سعادته، فهو يبدو كمن يتحدث عن جمالية الألوان للأعمى..".

ويبقى أن كتاب "الكلمات" الذي اعتنى به سارتر وقدّمه كمجرد سيرة ذاتية، كان له وقعه "الأدبي المحض" على الرغم من قوله في مقدمته أنه "به يقول وداعاته للأدب!" وهو يطرح من خلاله السؤال: "كيف أصبحت كاتباً؟"، وينطوي على تفاصيل دقيقة وخفيّة تشرح كل مقولاته الفلسفية والفكرية وتضعها على المحكّ.

سارتر

أوراق
العدد (1808)السنة السابعة -الاحد (30)
أيار 2010

خير جليس...

تتناول هذه الصفحات أحدث الإصدارات العربية والأجنبية يقدمها مازن لطيف.

المسدي.. نحو وعي ثقافي جديد

صدر لأستاذ اللسانيات في الجامعة التونسية والحاصل على جائزة العويس في دورتها الاخيرة د. عبد السلام المسدّي كتاب معنون ب " نحو وعي ثقافي جديد "

يرى د. المسدي ان كتابه يعتزم ان يركب جواد الخطاب الثقافي صادرا عن مفهومين محددين ، الأول : أن الثقافة هي جسر الضرورة بين الفكر والسياسة ، والثاني : أن الخطاب الثقافي ملتزم بطبعه ، وإن إعلانه هو إعلان عن الانخراط في ميثاق الالتزام لكل من يحرر الكائن من قيود التسلط أياً كان مأتاه .. يتكون الكتاب من عدة محاور تدور جميعها في موضوعة المثقف والثقافة والوعي والمثقف والسلطة حيث يذكر ان المثقف معنيّ بالسياسة ، ومعنيّ بطريقة السياسي في احتراف السياسة ، والمثقف معنيّ بالحرية ومعنيّ باستغلال السياسي للحرية ، والسر في ذلك أنه واحد من ابناء المجموعة فله بذلك كل حقوق المواطنة ، ويذكر المسدي انه ليس أعجب في الدنيا من مثقف يزهد في السياسة ، ولا من سياسي يريد أن يزهد المثقفون من حوله في السياسة ، ولو علم هؤلاء وأولئك بأحد الاسرار الخفية لكفوا عما هم فيه :: فحرية الرأي مدرسة كاملة بكل أشتراطاتها ، وهي في طبيعتها وفي جوهرها مؤسسة قائمة في قلب الحياة الجماعية .. ويرى انه بفعل الانشقاق العميق الحاصل بين المنظومة الاجرائية والمنظومة الرمزية في المجتمع الانساني الجديد ، انحسرت سلطة المثقف حتى لتكاد تتبدل وظيفته جوهريا . لم يعد بوسع المثقف أن يصنع الحدث في مجالات الحياة العامة على حد ما كان يصنع من قبل ، لم يعد يتسنى أن يصدح المثقف بقولة تغيّر مجاري الاحداث وترسم معالم الطريق كالذي فعله طه حسين او كالذي فعله قبله الاديب الفرنسي اميل زولا حين صاح صيحته "إني لأتهمُ" فغير تاريخ فرنسا في المسألة التي قسمت الشعب الفرنسي شقين ، وهي قضية دافريوس ، او كالذي فعله بعدهما جون بول سارتر حين تمرد عام ١٩٧٠ على السلطة فحكم عليه القضاء بالسجن فاضطر الريئس جورج بومبيدو ان يتدخل قائلا : " إني لا أستطيع أن أزج بالثقافة خلف قضبان السجون ".

ويعتبر ان السياسة واللغة قرينتان متلازمتان ، حيثما رأيات الواحد بدا لك الاخر ، فإن لم يكتشف لك بوجهه فاعام انه ثاو وراء قرينه ،وليس من قول في السياسة إلا خلفه فعل سياسي لأن القائمين على امور العباد لاينشدون اشعاراً وهم يسوسون ، ولايطمحون إلى صنع الجمال وهم يحكمون ، وما من فعل سياسي إلا وهو ينتج بالضرورة خطاباً ، فإما هو خطاب الحاكم فهو ساعتئذ امتداح وزهو وتبرير، وإما هو خطاب المحكوم فهو تظلم وارتياد إلى الافضل . كان فعل السياسة هو الذي يجر اللغة إليه جراً ، فهي أبدَ الدهر محكومة به ، ولكن الوضع قد تغير ، وتوشك الأدوار أن تنقلب فيه أحياناً ، والسبب أن سياسة أمور الناس داخل الأوطان كانت هي الاصل وهي المبتدأ ، وتأتي بعدها سياسة الروابط بين الوطن وسائر الأوطان في الارض المعمورة ، ثم حصل الانقلاب على مدار العقود ، فأصبحت سياسة الوطن محكومة بشبكة العلاقات المعقدة القائمة بينه وبين سائر الأوطان .

وعن المأزق اللغوي يذكر المسدي أن امر اللغة عند العرب عجيب ، وأعجب منه أمر العرب مع لغتهم ، وبوسع المرء ان يجزم بأن العرب يستثيرون من الاستغراب والتعجب ما لا تستثيره امة من الامم ، وكثيرا ما يحار المتأمل بفكر خالص كيف يُصار بالخيارات الجوهرية في الحياة الجماعية إلى مثل هذه الأوضاع التي كأنما يتحول فيها الفاعل عدواً لنفسه . والأوجع ـــ لمن هاجسه الرصد الجزئي الدقيق ـــ أن أصحاب القرار يتبنون حول المسألة اللغوية خطاباً ستوفي كل أشراط الوعي الحضاري ، ثم يأتون سلوكاً يجسم الفجوة المفزعة بين الذي يفعلونه والذي قالوه .. ثم يزداد المثقف ألماً وشقاءاً حين يعلوم علم اليقين بأن الحقائق العلمية ليس لها لدى ساسة العرب من الوزن ما لها لدى ساسة العالم المتطور .

فاللغة العربية بما هي حامل للهوية الثقافية ، وضامن لسيرورة الذات الحضارية ، لايتهددها صمت المثقف وهو ينظر إلى الزحف اللهجي وهو يكتسح مجالاتها الحيوية ولا سيما في الإبداع الثقافي . وفي الحديث عن كل شأن ثقافي مهما تقلصت ابعاده أو انكمشت أحجامه أو ضَؤلت أوزانه . وليس من حظ للعرب في أن ياجهوا مخاطر الكونية الزاحفة المستشرية إلا بجبهة داخلية متينة تستمد قوتها من حرية فكرية تبني ولاتخرب ، تشيد متانتها على أساس التماسك اللغوي ، الطرد في أنساقه ، والمنسجم بين أطرافه .

الكتاب يقع في ٢٠٠ صفحة من القطع الوسط وهو يصدر عن مجلة دبي الثقافية

عبد الستار ناصر يكشف أسرار الكتابة

يمزج عبد الستار ناصر في كتابه الهجرة نحو الأمس بين سيرة النص المكتوب وحياة المؤلف، خلال تجربة شخصية تمتد أربعة عقود، فيتواشج زمن الكتابة مع ذكريات شخصية وأوجاع وموت ومسرّات وأسرار. هكذا يفتح العدسة على مرحلة مبكرة من حياته في حي «الطاطران» البغدادي الأقرب إلى «الخرابة». هناك يتعرّف فتى التاسعة على أحسن معلم. إنّه أرسين لوبين، فيحاول تقليده من دون نجاح. لا يتردد القصّاص والروائي العراقي في هتك أسرار يصعُب على المبدع العربي مقاربتها بسهولة، كأنه محمد شكري آخر في فضح المحرمات. يقول «بداياتي مدهشة بأوجاعها وإفلاسها وزينة أخطائها، فقد ولدت في محلة ازدحمت بالزنا السرّي». علاقة مع مومس غيّرت مجرى حياته ورمته إلى عالم الكتابة. في الـ١٥من عمره، نشر قصته الأولى في جريدة «الأنباء الجديدة». بعد صدور مجموعته القصصية الأولى «الرغبة في وقت متأخر» (١٩٦٩)، كتب عنه غسان كنفاني «الكاتب الذي يجوس بفانوسه عالم الطابق السفلي من المدينة»، وهذا ما جعله يُصاب بحال من الرعب، حين عدّه كنفاني واحداً من أحسن من كتب القصة القصيرة. ويعترف ناصر بأنّه بعد هذه المقالة، تعرّض لحملة شتائم ما زالت مستمرة إلى اليوم. يحكي صاحب «صندوق الأخطاء» عن حياته كمقامر محترف في نوادي القمار وخسائره المتلاحقة، «لكنّ روح المخاطرة لم تمنعني من الذهاب صوب مستوطنة الخسائر الممتعة»، ويستدرك «أنا مقامر في الكتابة أكثر مما أنا مقامر في صالات الروليت». ويستعيد ناصر فترة الخوف والهلع في عراق الديكتاتورية، وكيف كان يخفي كتاباته على أمل أنها ستبصر النور ذات يوم، فيوثّق يومياته في قبو للاستخبارات العراقية طيلة سنة كاملة، من دون أن يختلط بأحد، «تمكنت من كتابة قصة قصيرة عن ظهر قلب، أكتب جملة ثم أحفظها، وبعدها سطراً ثم أحفظه، وحين خرجت من قبو الاستخبارات كان أول شيء أفعله هو أنني كتبتها على الورق خوفاً من نسيان بعض مفرداتها». في فترة الحصار الأميركي للعراق، تخصّص بعض كتّاب الأعمدة في الصحف العراقية في كتابة المدائح للقائد الرمز، فكتب مقالة «جمعية الشحاذين» في صحيفة «بابل» أثارت الكتبة المتسوّلين بكمّ كبير من الشتائم والافتراءات وتشويه السمعة.

وفي عمّان التي استقر فيها صاحب «سيدّنا الخليفة» منذ عقد ونصف، تراكمت الكتب في مكتبته مجدداً، وها هو يراجع الإهداءات التي كتبها أصحاب هذه الكتب إليه، بعدما توزّعتهم المنافي والمقابر، وسيتوقف عند بعض هذه الإهداءات، منها مثلاً ما كتبه علي جعفر العلّاق «إلى الصديق المحاط بالزوابع دائماً». هذه الكتابات المعبّرة، كانت بمثابة إنقاذ من الوحشة والعزلة والانتحار. يعترف ناصر بأنّه كاتب فاشل أمام إبداعات الآخرين، لكنّه يعزّي نفسه بخوض تجارب جديدة حتى تجاوزت كتبه ٤٠ عنواناً في القصة والرواية والنقد، من دون أن يجد الخلاص. تجربته الجديدة هذه، لعلها محاولة لإطاحة التجنيس، والتجوال بين حقول سردية متباينة، على تخوم السيرة الأدبية لكشف أسرار الكتابة نفسها ومكابدات الكاتب في إنجاز نصّه المشتهى، ومراودة المخبوء والمؤجل «أيام اعتقالي تحتاج إلى ثلاث روايات على أقل تقدير». في المقابل، يعترف «إذا ما هاجرت نحو الأمس، سأشطب نصف ما كتبت، دونما ندم

الاسماعيليون في العصر الوسيط

تأليف/ د. فرهاد دفتري
ترجمة/ سيف الدين القصير
تتناول فصول الكتاب، وهي التي غطت موضوعات مختارة وتطورات لها علاقة بفترة ما قبل الفاطميين والفترة الفاطمية والنزارية في التاريخ الاسماعيلي. تتناول مجالاً واسعاً ومنوعاً من الموضوعات التي تراوحت ما بين قرامطة البحرين وعلاقاتهم بالفاطميين والعقيدة الكوزمولوجية الاقدم للاسماعيليين.

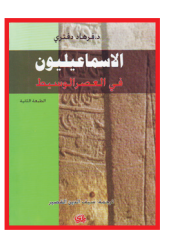

أفول نجم..
سيرة جديدة لفرويد

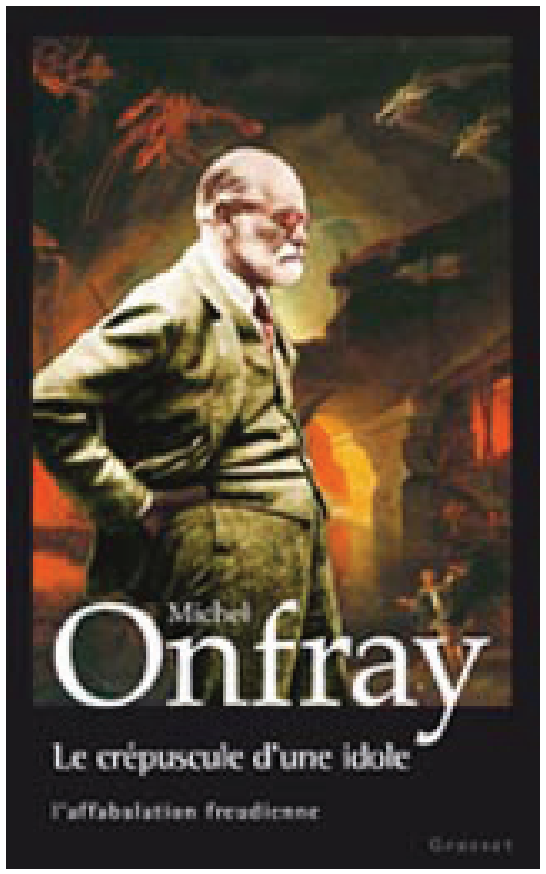

على مرّ صفحات تزيد على ستمئة، يتهجم الفيلسوف الفرنسي ميشال اونفري على ركائز فرويد الشخصية ويتكل في ذلك على نقد اخلاقي يصلح مطية ذات فاعلية استثنائية، بغية زعزعة سلطة احدهم في المبدأ. غير ان المنحى يتراءى مقصرا في هذا المكان في عرف متخصصين عدة يعتبرون التحليل النفساني لا يحتاج الى فرويد ليكون. في كل حال لم تكذبهم في هذه المقاربة مجموعة من النقاد الملتئمين في سابقة حول رأي واحد يقنُص الكتاب بشراسة غير معهودة..

ليس من حاجة الى القول ان اونفري رافع مفهوم الجمهورية فوق كل اعتبار، محترف الاستفزاز من الطراز الرفيع، وسبق له ان جرّب تلك الانعطافات المباغتة في عام ٢٠٠٦ مع "قصة مضادة للفلسفة" في مجلداتها الستة لدى "غراسيه" ايضا، حيث صار من الأوراق النشرية الاكثر ظفرا. اعاد في المجموعة وضع الفلاسفة الماديين والمتعويين وسبينوزا ونيتشه في مواجهة افلاطون، وكل فيلسوف ساهم في ضمّ المسيحية الى السلطة الفكرية منذ الفي عام. اما في مقابلة مع "النهار" على هامش معرض الكتاب الفرنكوفوني، في نهاية عام ٢٠٠٩، وفي سياق رده على سؤال طرحتُه في شأن الجسد كحامل للفكر وعن احدانية سبينوزا، فقد عرّج اونفري على الخاصية لدى نيتشه ليضيف ان اصحاب صحة عقلية قليلة الشأن، يبلورون فلسفة قليلة الشأن ايضا. قال: "ثمة شخص مثلا انجذب الى أمه ورغب في ان يمارس الجنس معها حمل اسم سيغموند فرويد، وطوّر نظرية عقدة اوديب وسوّق لهذه المسألة في العالم برمته". كان ذاك الغمز من قناة مؤسس التحليل النفساني، مجرد اشارة الى مسار كتاب اؤتمن على إحداث دويّ.

لا مجال للتغاضي عن ان تاريخ التحليل النفساني اتّسم بتناوب بين الدُرجة والنبذ. فرويد عينه، كتب في عام ١٩١٤: "خلال السنوات المنصرمة، تسنى لي ان اقرأ اكثر من عشر مرات نظريات تنبئ بموت التحليل النفساني، وتفيد ان الزمن تخطاه، بل لفظه. كان في إمكان جوابي ان يتّخذ شكل البرقية التي ارسلها مارك تواين الى الصحيفة التي اعلنت خبر موته الكاذب، حيث يرد "ان خبر وفاتي ينطوي على مبالغة كبيرة!"، في اعقاب كل ورقة نعي علّقت على نعش التحليل النفساني، لكان كسب في المقابل مناصرين ومتعاونين جددا. ان اعلان الموت لأجدى من الارتطام بصمت الموتى".

يميل ميشال اونفري صوب فلسفة تعتمد القصف المكثف ولا تتمهل عند فروق صغيرة في وسعها ان تغيّر المقتربات جذريا. غير ان الفضيلة الاولى للنقاش المتمحور على مؤلفه، تتمحور على قدرته على تحريك تكلّس فكري يتشبّث بالنطاق التحليلي راهنا. في السبعينات من القرن المنصرم، كان ثمة مدّ وجزر بين التيارات المختلفة، وانتاج تنظيري رفيع في فرنسا، غير انه تهالك وتحجّر ضمن مجموعة من العقائد وقف عندها من دون ان يسائلها. اكثر من ثلاث مرات في غضون شهرين، اخذ ميشال اونفري على عاتقه في جريدة "لو موند" ان يحفّز التداول في كتابه، ذلك ان الماركسية في منطقه ماتت لأنها لم تستطع ان تكون جدالية، وأن التحليل النفساني آيل الى الموت للسبب عينه. .

يؤكّد اونفري في "افول نجم "، انه تم الترويج لصورة خرافيّة لفرويد مبتكرا اكتشف "قارة اللاوعي العذراء وحده"، فيما يتجاهل ان فرويد افضى في عام ١٩٣٠ الى احد الاشخاص الذين اخضعهم للتحليل يدعى سمايلي بلانتون، برفض منتقديه التسليم باستناد التحليل النفساني الى مركّب وقائع تم جمعها رويدا بجهد ووفق منهجية، وتشبثهم باعتباره "انزل من السماء او خرج من الجحيم ككتلة من الحمم". يجزم ميشال اونفري انه لم يدّع طرح افكار غير مسبوقة او تقديم نفسه مجدّدا وانه اتكل على مراجع عدة مثل الأكاديمي المتخصّص في علم النفس جاك فان ريلاير المناهض لاتباع لاكان وفرويد وأحد واضعي "كتاب التحليل النفساني الأسود" في عام ٢٠٠٥. يلفت الى انه عاد الى ميكال بورك جاكوبسين ايضا، أحد اصحاب المواقف الصارمة في خضم نقاش عنيف شهده العالم الانغلوساكسوني وعرف بإسم "فرويد وورز"، اي "حروب على فرويد".

وازاء فصول الحملة الموجّهة ضده، شدد اونفري على عدم حمله ضغينة ازاء فرويد، رافضاً اعتبار كل نقد مباشر وعلني يبديه ازاء المحلّل، وجهاً من وجوه حبّ لاواع يكنّه له، عملا بمنطق النهج الفرويدي عينه. يريد اونفري التحفّظ عن التحليل النفساني نظاما عقائديا غير قابل للتطور والإضاءة على حياة فرويد وعمله، انطلاقا من مبدأ لنيتشه يفيد بأن الفكر هو دوما اعتراف صاحبه الذاتي. يرغب اونفري في جعل "العِلم" الفرويدي مجرد فلسفة وجودية فحسب.

يكمن احد فخاخ كتابة سيرة فيلسوف عظيم في محاولة تقزيم الأفكار المهمّة الى مقاربة نفسانية، وجعل قصة الحياة تفسّر الأفكار وعدم الاكتفاء بجعلها تؤمّن السياق فحسب. بينما المثالي، كتابة سيرة "فلسفية" للفيلسوف. والحال، ان اونفري لا يقدم سيرة "نفسانية" للمحلل النفساني، وانما سيرة "فلسفية" له، لا تنحصر في اقتراض العنوان من ملهمه نيتشه "افول المعبودين" فقط.

آفـــاق

(2-2)

الجابري في مكتبة مؤيد

سعد محمد رحيم

وبعد حسن حنفي تصدى آخرون للجابري، وذات يوم التقط مؤيد كتاباً من درج خاص مخفي وناولني إياه؛ اقرأ هذا.. كان الكتاب بعنوان (هل هناك عقل عربي) لهشام غصيب. من ثم وصلنا كتاب جورج طرابيشي (مذبحة التراث) جعلنا نعيد النظر ببعض قناعاتنا عن كتابات الجابري. وأخيراً كانت أجزاء من كتاب آخر، أضخم لطرابيشي عنوانه: (نقد نقد العقل العربي). وانبهر مؤيد بالكتاب الأخير. كان رأي مؤيد أن طرابيشي قد قضى بشكل نهائي على مشروع الجابري وجعل بنيانه الفكري ينهار تماماً. وكان رأيي أن مشروعاً بهذه الآفاق لا يمكن أن تنتهي بهذه السهولة ومهما كانت الانتقادات التي يتعرض لها قوية ومفحمة.

صحيح أن المشروع لم يكن كاملاً وليس فوق التمحيص والدراسة والنقد. ولكن من الظلم تسفيه المشروع برمته وإلغائه.. كان مؤيد يدرك هذا ويوافقني في كثر مما أذهب إليه، بيد أنه كان غاضباً من الخدع التي مارسها الجابري في إنتاج خطابه الفكري، والتي اكتشفها طرابيشي. إذ أن البناء الذي شيّده (الجابري)، بحسب رأي طرابيشي (ويؤيّده مؤيد) قائمة على أسس بعضها مختل وبعضها ضعيف وبعضها خاطئ، وعلى مقولات مبتورة أو منزوعة من سياقها وهي التي أوصلته إلى نتائج لن تصمد أمام ريح النقد. وكنت أقول أن الجابري فتح مسارب للفكر وحرّك ساكناً في زمن الهزائم وانحطاط حياتنا السياسية والثقافية، ونحن بحاجة إلى تغليب العقل البرهاني/ العلمي على ما عداه في زمن الخرافات والأصوليات الضيقة، كما يريد الجابري. فيعقّب مؤيد؛ نعم، ولكن...

ومع "ولكن" يستمر السجال وتتصادم الآراء والأفكار والمفاهيم في ظهيرات الصيف مع الماء المثلج والشاي الساخن تحت مروحة سقفية تنفخ هواءً حاراً وتتوقف حين تنقطع الكهرباء الوطنية (لم تكن المولّدات قد انتشرت على نطاق واسع، بعد). غير أن السجال لا يتوقف والحديث لا ينقطع إلاّ مع مجيء صديق آخر يطرح قضية مغايرة سرعان ما ينغمس مؤيد في السجال حولها فأقول؛ باي، تأخر الوقت، أراك غداً" وأغادر وفي ذهني أن أستأنف معه الحديث عن الجابري غداً أو بعد غد.

توفي الجابري رحمه الله يوم ٢٠١٠/٥/٣ تاركاً إرثاً فكرياً غنياً لابد من أن يتحمل مفكرو العرب ومثقفوه مسؤولية إعادة قراءته ونقده في سياق مشروع النهضة العربية المتعثرة الخطوات. وإعادة الاعتبار للعقل عبر إكمال مشروع نقده الذي قام بعبء كبير منه الجابري. لأن لا نهضة من غير عقل ناقد فعال ومنتج لها.

أما مؤيد (رحمه الله) فاستشهد قبل رحيل الجابري بأكثر من خمس سنين. وكان أمام باب داره في منطقة بهرز ببعقوبة يحمل محفظة فيها أوراقه، لحظة تلقى سيل الرصاص من سيارة مسرعة فرفع المحفظة في رد فعل لا واعٍ، سريع وأخير، ليتقي بها شر رصاصات الإرهابيين. غير أنها (المحفظة بأوراقها) كانت من الهشاشة الفيزيقية بحيث أنها امتلأت بالثقوب حين خرقتها الرصاصات المنطلقة إلى صدره.

لا أظن أن ذهني سيتحرر في أي يوم من هذه الصورة التراجيدية المؤلمة، والتي لها محمول رمزي صارخ ومثقلة بدلالات لا تُخفى. وأعتقد أنها تعد تعبيراً عن العلاقة الملتبسة بين المثقف ومحيطه الاجتماعي بما يختزن هذا المحيط من سلطات وآليات وممكنات قمع وإقصاء وتصفية جسدية. وطالما تساءلت ماذا كان مؤيد يخفي، يومها، في تلك الحقيبة، أيُّ كتاب ولأي مؤلف؟. ربما للجابري أو طرابيشي أو علي الوردي أو إدوارد سعيد أو محمد أركون أو أدونيس أو رولان بارت أو ميشيل فوكو أو أي أحد آخر من مفكري الحداثة العرب أو العالميين. أولئك الذين كنا نناقش أفكارهم في مكتبته. وأيضاً، ما زلت أتساءل؛ ماذا كتب في أوراقه من ملاحظات وأفكار وقصائد، هو الشاعر والباحث والناقد، تلك الأوراق التي تضرّجت بدمه النقي.

اصدارات دار المدى للثقافة والنشر

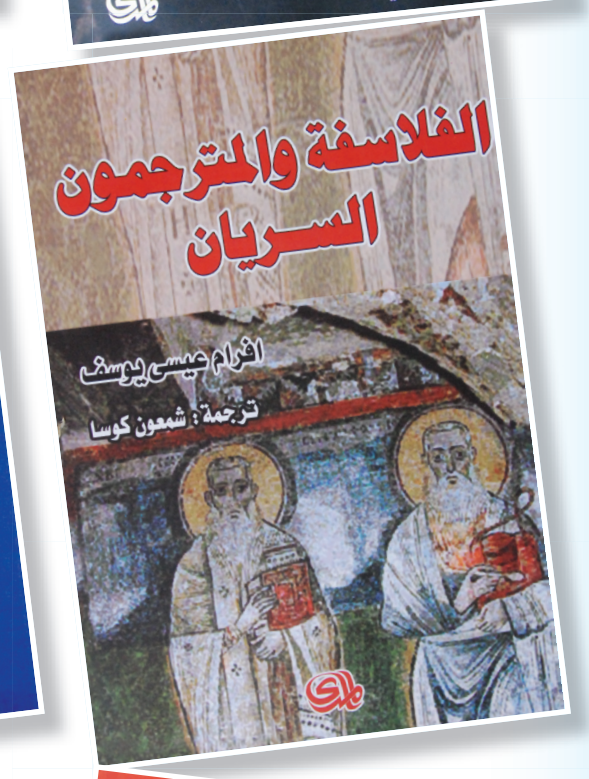

تطلب من مكتبة المدى وفروعها: بغداد - شارع السعدون - قرب نفق التحرير .. بغداد - شارع المتنبي - فوق مقهى الشابندر .. اربيل - شارع برايه تي - قرب كوك

تحرير | علي حسين - علاء المفرجي
الاخراج الفني | مصطفى جعفر
التصحيح اللغوي | يونس الخطيب